جمهورية العراق
ديوان الوقف الشيعي

تراث البصرة

مجلة فصلية محكمة
تعنى بالتراث البصري

تصدر عن:

العتبة العباسية المقدسة
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
مركز تراث البصرة

السنة السادسة - المجلد السادس
العدد: الخامس عشر
شعبان المعظم ١٤٤٤هـ - آذار ٢٠٢٣م

الترقيم الدّوليّ

ردمد: Print ISSN: 2518-511X

ردمد الإلكتروني: Online ISSN: 2617-6734

Mobile: 07800816579 - 07722137733

Email: basrah@alkafeel.net

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٥٤) لسنة ٢٠١٧م

جمهوريَّة العراق- البصرة

العتبة العباسية المقدسة. قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية. مركز تراث البصرة.
تراث البصرة : مجلة فصلية محكمة تعنى بالتراث البصري / تصدر عن العتبة العباسية المقدسة قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية مركز تراث البصرة.-البصرة، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية، مركز تراث البصرة، ١٤٣٨ هـ = ٢٠١٧-
مجلد : ايضاحيات ؛ ٢٤ سم
فصلية.-السنة السادسة، المجلد السادس، العدد الخامس عشر (آذار ٢٠٢٣)
ردمد : ٢٥١٨-511X
تتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
النص باللغة العربية ؛ ومستخلصات باللغة العربية والانجليزية.
١. البصرة (العراق)--تاريخ--دوريات. ٢. البصرة (العراق)--الحياة الفكرية--دوريات. الف. العنوان.

LCC : DS79.9.B3 A8373 2023 VOL. 6 NO. 15
DDC : 910.45
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾
صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيمُ
سورة المائدة: الآية (٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم الشؤون العلمية

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

الرقم: ب ت ع/ ٥٧٤
التاريخ: ٢٤/ ١/ ٢٠٢٣

No.:
Date:

الى/ ديوان الوقف الشيعي/العتبة العباسية المقدسة

م/ مجلة تراث البصرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اشارة الى كتابكم المرقم ٧٥٧٩ بتاريخ ٢٠٢١/٥/٢٢ بشأن اعتماد مجلتكم لاغراض النشر والترقيات العلمية وتسجيلها ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية ، وبعد استكمال الملاحظات الخاصة بضوابط الاستحداث بموجب كتابهم المرقم ٢٠٨١٩ في ٢٠٢٢/١٢/٢٨ ، حصلت موافقة السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي بتاريخ ٢٠٢٣/١/١٧ على أعتماد المجلة المذكورة في الترقيات العلمية والنشاطات العلمية المختلفة الاخرى ، واعتباراً من المجلد الخامس – العددان الثالث عشر والرابع عشر لسنة ٢٠٢٢ لتسجيل المجلة في موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية.

للتفضل بالاطلاع وابلاغ مخول المجلة لمراجعة دائرتنا لتزويده باسم المستخدم وكلمة المرور ليتسنى له تسجيل المجلة ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية وفهرسة اعدادها ، ويعتبر ذلك شرطاً أساسياً في أعتمادها بموجب الفقرة (٣١) من ضوابط استحداث واصدار المجلات العلمية في وزارتنا.

...مع وافر التقدير

أ.م.د ايهاب ناجي عباس
المدير العام لدائرة البحث والتطوير/ وكالة
٢٠٢٣/ ١ /CC

نسخة منه الى:

- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ أشارة الى موافقة سيادته المذكورة أعلاه والمثبتة على أصل مذكرتنا المرقمة ب ت م٣٩٣/٤ في ٢٠٢٣/١/١٦
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة و النشر.... مع الاوليات
- الصادره

مهند ابراهيم
١٩/ كانون الثاني

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة البصره
قسم الدراسات والتخطيط والمتابعه
شعبة التخطيط

العدد/ ٧/ ١٥٩٩٨/٢٥
التاريخ ٢٠١٧/١١/٢

بسمه تعالى

Ministry of Higher Education
& Scientific Research
Basrah University
Studies planning &Fellow-up dept.

أمر جامعي

م/ مجلة تراث البصرة

إشارة الى ما تم مناقشته في محضر مجلس الجامعة بجلسته الثالثة عشر واستنادا" للصلاحيات المخوله لنا تقرر الاتي :

اعتماد مجلة تراث البصرة الصادرة من مركز تراث البصرة التابع للعتبة العباسية لأغراض الترقية العلمية في جامعتنا .

٢٠١٧/١١/٢

الأستاذ الدكتور
ثامر أحمد الحمدان
رئيس الجامعة

نسخة منه إلى //
- مكتب السيد رئيس الجامعة للتفضل بالاطلاع مع التقدير ...
-مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية للتفضل بالاطلاع مع التقدير ...
-عمادة كلية التربية للعلوم الإنسانية / مكتب السيد العميد للتفضل بالاطلاع مع التقدير .....
-عمادة كلية الاداب / مكتب السيد العميد للتفضل بالاطلاع مع التقدير .....
-عمادة كلية التربية بذات / مكتب السيد العميد للتفضل بالاطلاع مع التقدير .....
- امانة مجلس الجامعة / مكتب السيد المدير للتفضل بالاطلاع مع التقدير .....
-قسم الشؤون العلمية / مكتب السيد المدير للتفضل بالاطلاع مع التقدير .....
-مركز تراث البصرة / العتبة العباسية للتفضل بالاطلاع مع التقدير ...
-قسم الدراسات والتخطيط والمتابعة
-الصادرة

نجلاء//

العراق - بصرة - الكورنيش - -داخلي ١٤٤

Ministry of Higher Education and Scientific Research
AL- Muthanna University
Scientific Affairs Department

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـامعة المـثنى
قسم الشؤون العلمية

((معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب))

العدد : ب ت/ ٨ ٥٠٢
التاريخ : ٢٠١٨/٣/ ٢٥

No:
Date :

إلى/ ديوان الوقف الشيعي/ العتبة العباسية المقدسة /الأمانة العامة

م/تحكيم مجلة

تحية طيبة ...

اشارة الى كتابكم ذي العدد ٧٥١٢ في ٢٠١٧/ ٧/١ ، المتضمن تحكيم مجلة تراث البصرة واعتمادها لأغراض الترقية . نرفق لكم ربطاً الامر الجامعي ذي العدد ١٩٧٩ في ٢٠١٨/٣/١٩ والمتضمن اعتماد مجلة (**تراث البصرة**) للدراسات الانسانية والعلمية لإغراض الترقيات العلمية في جامعتنا .

للتفضل بالاطلاع ... مـع التقديـر

أ.د. قاسم محمد حلو
مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية/وكالة
٢٠١٨/ ٣/ ٢٥

نسخة منه الى :
- مكتب السيد رئيس الجامعة/للتفضل بالاطلاع.. مع التقدير
- مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية/للتفضل بالاطلاع... مع التقديـر.
- قسم الرقابة والتدقيق الداخلي/للتفضل بالاطلاع ..مع التقدير.
- قسم الشؤون العلمية /مع الأوليات
- الصادرة .

العراق – محافظه المثنى - السماوة- المنطقه التعليميه – جامعه المثنى

موقـــع جامعـــة المثـنى
البريد الالكتروني

www.mu.edu.iq
Email... muthannaresearch@gmail. rdd@mu.edu.iq

٢٥ / ٣ / ١٨

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
رئاسة جامعة واسط
قسم
البحـــث والتطـويـــر

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education& Scientific Research
Presidency of Wasit University

الرمز :
العدد : ١١٨٨٥

٢٠١٧/ ٨ /٩م
/ / ١٤٣هـ

...../ / 201

KUT. WASIT. IRAQ
Rabee' District / University City
www.uowasit.edu.iq
E-mail:
po@uowasit.edu.iq

امـــــــر جـــامعـــي

م/ مجلة تراث البصرة

إشـــارة إلـــى مـــاتم مناقشـــته فـــي محضـــر مجلـــس الجامعـــة بجلســـته الثالثـــة عشـــرة المفتوحـــة (الجـــزء الثالـــث) للعـــام الدراســـي ٢٠١٦-٢٠١٧ بتـــاريخ ٢٠١٧/٦/١٨ واســـتنادا إلى الصلاحيات المخولة إلينا تقرر الأتي :

اعتمـاد مجلـة (تـراث البصـرة) الصـادرة مـن مركـز تـراث البصـرة التـابع للعتبـة العباسـية لأغـراض الترقيـة العلميـة فـي جامعتنا.

الأستاذ الدكـــتور
عبـد الرزاق احمد النـــصيري
رئيس جـــامعـــة واســـــط
١٤ /٨/٢٠١٧

نسخة منه الى///
*مكتب السيد رئيس الجامعة / للتفضل بالاطلاع ....مع التقدير.
*مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون الإدارية / للتفضل بالاطلاع ...مع التقدير.
*مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية / للتفضل بالاطلاع ...مع التقدير.
*قسم البحث والتطوير مع الأوليات.
*قسم الشؤون المالية
*قسم الرقابة والتدقيق
*قسم الموارد البشرية
* وحدة قاعدة البيانات
*الصادر

آجالي ٢٠١٧

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Babylon
Department of Research and Development

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل
قسم البحث والتطوير

العدد : ٩٨٣٠/٢
التاريخ: ٢٠١٧/١٠/٢٢

Ref. No.:
Date: / /

امر جامعي

استنادا الى الصلاحيات المخولة الينا واشارة الى المادة (١٠) من تعليمات الترقيات العلمية مرقم ٣٦ لسنة ١٩٩٢النافذة (البند الثاني) وقرار المجلسة الثانية لمجلس جامعة بابل للعام الدراسي ٢٠١٧-٢٠١٨ تقرر : اعتماد مجلة(تراث البصرة) الصادرة من مركز تراث البصرة التابع للعتبة العباسية المقدسة لاغراض الترقيات العلمية في جامعتنا على ان تتقيد الجهات القائمة على تحرير المجلة بالالتزام بما يلي :

- الشروط التي منحت على اساسها صفة مجلة محكمة معتمدة من جامعة بابل وفي حالة مخالفتها للشروط المثبتة في الحضر فسوف لاتعتمد على اساس الصفة اعلاه .
- تزويدنا بنسخة من المجلة بشكل دوري .

أ . د . عادل هادي البغدادي
رئيس الجامعة وكالة
٢٠١٧/١٠/ ٢٠

صورة منه الى :

- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير . . .للتفضل بالاطلاع . . .مع الاحترام .
- السيد رئيس الجامعة المحترم للتفضل بالاطلاع . . . . . مع الاحترام .
- السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية المحترم للتفضل بالاطلاع . . . . مع الاحترام .
- مركز تراث البصرة التابع للعتبة العباسية المقدسة . . . . . للتفضل بالاطلاع . . . . . مع الاحترام .
- شعبة المعلوماتية والادامرة . . . مع الاحترام .
- قسم البحث والتطوير . . مع الاولياث .

الصادرة .

سحر

Babylon_research@yahoo. com
babylon_research@uobabylon.edu.iq
www.uobabylon.edu.iq

Ministry of Higher Education
And scientific Research
Misan university
Scientific Affairs Dept

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
رئاسة جامعة ميسان
مكتب المساعد العلمي
قسم الشؤون العلمية

العدد : ش ع / ٥٩٤
التاريخ : ١٥ / ١ / ٢٠١٨

No :
Date:

جامعة ميسان
مكتب المساعد العلمي
قسم الشؤون العلمية

﴿ بحيشنا والحشد الشعبي العراق أقوى وأمضى ﴾

(امر جامعي)

م/ اعتماد مجلة

اشارة الى كتاب امانة مجلس الجامعة المرقم (م.ج/٧٧٠ س) في ٢٠١٧/١٢/٢٦ و المتضمن محضر الجلسة الثالثة للدراسة الصباحية لمجلس جامعتنا للعام الدراسي ٢٠١٧/٢٠١٨ المنعقد بتاريخ ٢٠١٧/١٢/١٤ تقرر:

- قبول اعتماد مجلة تراث البصرة في الترقيات العلمية في جامعتنا كونها تتبع الاساليب العلمية في نشر البحوث و المقالات العلمية حسب المادة (١٠) من تعليمات الترقيات العلمية في الجامعات العراقية رقم (٣٦) لسنة ١٩٩٢.
- اعتماد المجلة اعلاه لغرض الترقيات العلمية ابتداءً من تاريخ ٢٠١٧/١٢/١٤.

أ.م.د . علي عبدالعزيز الشاوي
رئيس الجامعة/ وكالة
٢٠١٨/١/٧

نسخة منه إلى /
- وزارة التعليم العالي و البحث العلمي /دائرة البحث و التطوير.
- مكتب السيد رئيس الجامعة / لتتفضل بالاطلاع .....مع التقدير.
- مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية والدراسات العليا /لتتفضل بالاطلاع...مع التقدير.
- مكتب السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون القانونية و الادارية/لتتفضل بالاطلاع...مع التقدير
- الكليات كافة / مكتب السيد العميد/ للاطلاع .... مع التقدير
- الامانة العامة للعتبة العباسية المقدسة / كتابكم المرقم (٧٥١٤) في ٢٠١٧/٧/١.
- قسم الشؤون العلمية / شعبة البحوث العلمية... مع التقدير
- لجنة الترقيات المركزية
- شعبة البريد المركزي / الصادر.

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education
and Scientific Research
Kerbala University
Research and development
department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء
قسم البحث والتطوير

Issu :
No. :

العدد: ش/ 4332
التاريخ: 25/ 1/ 2018

أمر جامعي

إستناداً إلى الصلاحيات المخولة لنا وبناءاً على توصية اللجنة المشكلة في كلية التربية للعلوم الانسانية بموجب الامر الإداري المرقم د/4303/8 في 2017/12/28.

تقرر الاتي:

إعتماد **مجلة تراث البصرة** الصادره من مركز تراث البصرة التابع للعتبة العباسية المقدسة لأغراض الترقيات العلمية في جامعتنا واعتباراً من تأريخه اعلاه.

أ.د.منير حميد السعدي
رئيس الجامعة
2018/1/25

نسخة منه الى//

- مكتب السيد رئيس الجامعة المحترم..مع التقدير.
- مكتب السيد المساعد العلمي المحترم...مع التقدير.
- قسم الشؤون العلمية.
- الصادرة .

الايميل:Scientific.affairs@uokerbala.edu.iq

اسبل1/24

رئيس التَّحرير

أ.م.د. عامر عبد محسن السَّعد

جامعة البصرة/ كُلِّيَّة الآداب/ اللُّغة العربيَّة

مدير التَّحرير

أ.م.د. محمود محمَّد جايد العيدانيّ/ عضو الهيْأة العلميَّة في جامعة المصطفى ﷺ/ قم المقدَّسة/ الفقه والأُصول

هيْأة التَّحرير

أ.د. سعيد جاسم الزّبيديّ/ جامعة نزوى- سلطنة عمان/ اللُّغة العربيَّة

أ.د. فاخر هاشم الياسريّ/ جامعة البصرة- كُلِّيَّة التَّربية للعلوم الإنسانيَّة/ اللُّغة العربيَّة

أ.د. جواد كاظم النصر الله/ جامعة البصرة - كُلِّيَّة الآداب/ التَّاريخ الإسلاميّ

أ.د. حسين عليّ المصطفى/ جامعة البصرة- كُلِّيَّة التَّربية للعلوم الإنسانيَّة/ التَّاريخ العثمانيّ

أ.د. عليّ أبو الخير/ كبير باحثين متقاعد في وزارة التربية والتعليم- مصر.

أ.د. رحيم حلو محمَّد/ جامعة البصرة- كُلِّيَّة التَّربية- بنات/ التَّاريخ الإسلاميّ

أ.د. شكري ناصر عبد الحسن/ جامعة البصرة- كُلِّيَّة التَّربية للعلوم الإنسانيَّة/ التَّاريخ الإسلاميّ

أ.د. محمّد غفوري نجاد/ جامعة الأديان والمذاهب - قم المقدّسة / الفلسفة الإسلاميّة

أ.د. عصام الحاجّ عليّ/ الجامعة الّبنانيّة/ التاريخ الإسلاميّ

أ.د. إسماعيل إبراهيم محمد الوزير / جامعة صنعاء/ كلّيّة الشريعة والقانون

أ.د. حسين حاتميّ/ جامعة إسطنبول- كلّيّة الحقوق

أ.د. نجم عبد الله الموسويّ/ جامعة ميسان- كُلِّيَّة التَّربية/ علوم تربويَّة ونفسيَّة
أ.د. محمَّد قاسم نعمة/ جامعة البصرة- كُلِّيَّة التَّربية- بنات/ اللُّغة العربيَّة
أ.د. عماد جغيّم عويّد/ جامعة ميسان - كُلِّيَّة التَّربية/ اللُّغة العربيَّة
أ.د. صباح عيدان العباديّ/ جامعة ميسان- كُلِّيَّة التَّربية/ اللُّغة العربيَّة
أ.م.د. عبد الجبَّار عبّود الحلفيّ/ جامعة البصرة - كُلِّيَّة الإدارة والاقتصاد/ الاقتصاد
أ.م.د. عليّ مجيد البديريّ/ جامعة البصرة- كُلِّيَّة الآداب/ اللُّغة العربيَّة
م.د. طارق محمَّد حسن مطر / كُلِّيَّة الإمام الكاظم عليه السلام للعلومِ الإسلاميّةِ
الجامعة / أقسام البصرة / اللُّغة العربيَّة

تدقيق اللُّغة العربيَّة

م.د. طارق محمَّد حسن مطر

تدقيق اللُّغة الإنجليزيَّة

أ.م.د. هاشم كَاطع لازم

الإدارة الماليَّة

سعد صالح بشير

الموقع الإلكترونيّ

أحمد حُسين الحُسينيّ

التَّصميم والإخراج الطباعيّ

عليّ يوسف النجَّار

ضوابطُ النَّشرِ في مجلَّة (تُراث البصرة)

يسرُّ مجلّة (تراث البصرة) أنْ تستقبلَ البحوث والدّراسات الرّصينة وَفق الضّوابط التالية، ودَليلَي المؤلِّف والمقوِّم المبيَّنينِ:

١- أنْ يقعَ موضوع البحث ضمن اهتمامات المجلّة وأهدافها (تُعنى بقضايا التُّراث البصريّ).

٢- أنْ تكونَ البحوث والدّراسات وَفق منهجيّة البحث العلميّ وخطواته المتعارف عليها عالميّاً.

٣- أنْ لا يكونَ البحث منشوراً، ولا حاصلاً على قبول نشرٍ، أو مقدَّماً إلى أيَّة وسيلة نشر أُخرى.

٤- يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنيَّة.

٥- يحقُّ للمجلَّة ترجمة البحوث المنشورة في أعدادها إلى اللُّغات الأُخرى من غير الرجوع إلى الباحث.

٦- تخضع الأبحاث المستلمة لبرنامج الاستلال العلميّ Turnitin.

٧- حقوق النشر والطبع والتوزيع الورقيّ والإلكترونيّ من حقِّ المجلّة، ويُقَرُّ ذلك بتعهّدٍ خطِّيٍّ يقدِّمه المؤلِّف بإمضائه، ولا يحقُّ لأيَّة جهة أُخرى إعادة نشر البحث أو ترجمته ونشره، إلّا بموافقة خطِّيَّة مِنَ المؤلِّف ورئيس التَّحرير.

٨- تخضع البحوث لتقويمٍ علميٍّ سرِّيٍّ لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تُعاد إلى أصحابها، سواء قبلتْ للنشر أم لم لا، ووَفق الآليّة الآتية:

أ- يُبلَّغ الباحث بتسلّم المادَّة المرسلة للنشر خلال مدَّةٍ أقصاها أُسبوعان من تاريخ التسلّم.

ب- يُخطَر أصحابُ البحوث بموافقة هيأة التحرير على قبول نشرها أو رفضها خلال فترة لا تتجاوز الشَّهرين من تاريخ استلام البحث.

ج- البحوث التي يرى المقوِّمونَ وجوبَ إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تُعاد إلى أصحابها مع الملاحظات المحدّدة؛ كي يعملوا على إعدادها نهائيّاً للنّشر، ويُعاد البحث خلال فترة أُسبوع من تاريخ استلام التعديلات.

د- البحوث المرفوضة يُبلّغ أصحابها بذلكَ منْ دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

هـ - لا تُعادُ البحوث غير المقبولة للنشر إلى مؤلِّفيها.

و- يمنح كلّ باحث نسخة واحدة من العدد الذي نُشِر فيه بحثُه، ومكافأة ماليَّة.

٩ - لا يجوز للباحث أنْ يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيأة التحرير، وخصوصاً إذا تمَّ تحرير قبول نشر به، إلّا لأسبابٍ تقتنع بها هيأة التحرير، على أنْ يكون خلال مدَّة أُسبوعين مِن تاريخ تسلّم بحثه.

١٠- يُراعى في أسبقيَّة النشر:

أ- البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.

ب- تاريخ تسلّم رئيس التحرير للبحث.

ج- تاريخ تقديم البحوث كلّما يتِمُّ تعديلُها.

د- تنويع مجالات البحوث كلّما أمكن ذلك.

١١- تعبِّر جميع الأفكار المنشورة في المجلَّة عن آراء كاتبيها، ولا تعبِّر بالضّرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار.

دليلُ المؤلِّف

١- أنْ يقعَ موضوع البحث ضمن قضايا التُّراث البصريّ حصراً.

٢- أنْ لا يكون البحث منشوراً، ولا مقدَّماً إلى أيَّة وسيلة نشر أُخرى.

٣- أنْ يعطيَ المؤلِّف حقوقاً حصريَّة للمجلَّة تتضمَّن النشر والتوزيع الورقيّ والإلكترونيّ والخزن وإعادة استخدام البحث.

٤- أنْ يُقدّم البحث مطبوعاً على ورق بحجم(A4)، وبثلاث نسخ، مع قرص مدمج(CD)، على أن يكونَ عددُ كلماتِ البحث بحدود (٥٠٠٠-١٠,٠٠٠) كلمة، ومكتوباً بخطّ(Simplified Arabic)، وأنْ ترقّم الصّفحات ترقيماً متسلسِلاً.

٥- أنْ يُقدّمَ عنوانُ البحثِ وملخّص البحث باللُّغتين: العربيّة والإنجليزيّة، وبحدود (٣٥٠) كلمة.

٦- أنْ تحتويَ الصّفحة الأولى مِن البحث على عنوان واسم الباحث/ الباحثين، وجهة العمل، والعنوان الوظيفيّ، ورقم الهاتف الأرضيّ أو المحمول، والبريد الإلكترونيّ، والكلمات المفتاحيَّة، مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث، أو الباحثين، في صلب البحث، أو أيّ إشارة إلى ذلك.

٧- أنْ يُشار إلى الهوامش في آخر البحث، وتُراعى الأصول العلميَّة المتعارفة في التوثيق، والإشارة بأن تتضمّن: (اسم الكتاب، رقم الصّفحة)، أو (المؤلِّف، الكتاب، رقم الصّفحة).

٨- أنْ تُرتَّب وتنسَّق المصادر وَفقَ الصِّيغ العالميَّة المعروفة (APA).

٩- أنْ يُزوَّد البحث بقائمة المصادر والمراجع منفصلة عن الهوامش، وفي

حالة وجود مصادر ومراجع أجنبيّة تُضاف قائمة المصادر والمراجع بها منفصلة عن قائمة المراجع والمصادر العربيّة، ويُراعى في إعدادهما الترتيب الألفبائيّ لأسماء الكتب أو البحوث في المجلَّات، أو أسماء المؤلِّفينَ.

١٠- أنْ تُطبع الجداول والصُّور واللَّوحات على أوراق مستقلَّة، ويُشار في أسفل الشّكل إلى مصدرها أو مصادرها، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

١١- أنْ تُرفق نسخة من السِّيرة العلميَّة للباحثِ إذا كان ينشُرُ في المجلَّة للمرّة الأُولى، وأنْ يُشار إلى ما إذا كان البحث قدْ قُدِّم إلى مؤتمرٍ أو ندوةٍ، وأنّه لم يُنشر ضمن أعمالها، كما يُشار إلى اسم أيَّة جهة علميّة أو غير علميّة قامتْ بتمويل البحث أو ساعدت في إعداده.

١٢- أنْ تُرسل البحوث على البريد الإلكترونيّ للمركز:

(Basrah@alkafeel.net)، أو تُسلَّم مباشرة إلى مقرِّ المركز على العنوان الآتي:

(العراق-البصرة-البراضعيَّة-شارع سيِّد أمين/ مركز تراث البصرة).

دليلُ المقوِّم

١- أنْ يُلاحِظ المقوِّم كونَ البحث ضمن تخصُّصه العلميّ.

٢- أنْ يكونَ التقويم ضمن المنهجيّة الموضوعيَّة والعلميَّة، وأنْ لا يخضع للرَّغبات الشَّخصيَّة أو الآراء الخاصَّة.

٣-أنْ ينظر إلى أصالة البحث وأهمِّيَّة نشره في المجلَّة.

٤- أنْ يُلاحظ انسجام البحث معَ الهدف العامّ للمجلَّة وسياستها في النَّشر.

٥- أنْ يُلاحظ تعبير ملخَّص البحث عن فكرة البحث ومادَّته.

٦- أنْ لا تتجاوز مدَّة تقويم البحث عشرة أيَّام.

٧- في حالِ ظهور كونِ البحثِ مستلًّا، أو منتحَلاً، كلَّه أو جزءاً منه، الإشارة إلى ذلك في موضعِه.

٨- ملاحظة استمارة التقويم المرافقة للبحث، وملؤها وَفق الفقرات المثبَّتة فيها، وكذا نتيجة التقويم.

٩- تُعدُّ ملاحظات المقوِّم وتوصياته عاملاً مهمّاً في الحكم على قبول البحث مِن عدمه، فيلزم بيان الملاحظات الجوهريّة مِنَ الجزئيَّة بشكل تقريرٍ مكتوب، مع تثبيتها في متنِ البحث؛ ليتسنَّى التعامل معها فنِّيّاً.

١٠- تُرسل ملاحظات التقويم مع البحث إلى مقرِّ المجلَّة، أو البريد الإلكترونيّ -إن اقتضى الأمر ذلك- حسب دلالة النقطة (١٢) من دليل المؤلِّف.

العدد:

التاريخ:

مجلة تراث البصرة المحكمة

الترقيم الدولي
ردمد: Print ISSN: 2518-511X
ردمد الإلكتروني: Online ISSN: 2617-6734

السنة: المجلد: العدد:

إلى/

م/ تعهُّد وإقرار

يسرُّ هيأة تحرير مجلَّة (تراث البصرة) المحكّمة إعلام جنابكم الكريم بأنَّها قد استلمت بحثكم الموسوم ( )؛ فيُرجى تفضُّلكم بملء أُنموذج التعهُّد المرافق ربطاً في أقربِ وقتٍ ممكنٍ؛ لتتسنَّى لنا المباشرة بإجراءات التقييم العلميّ، بعد استلامِ التعهُّدِ .. مع التقدير.

رئيس التحرير

مجلة تراث البصرة المحكمة

الترقيم الدولي
ردمد: Print ISSN: 2518-511X
ردمد الإلكتروني: Online ISSN: 2617-6734

السنة: المجلد: العدد:

م/ تعهُّد وإقرار

إنِّي الباحث (.....)، وبحثي الموسوم:

(.....)؛ وأَتعهَّد بما يأتي:

١. إنَّ البحث غير منشور سابقاً، ولم أُقدِّمه لأيَّة جهةٍ لنشره كاملاً أو ملخَّصًا، وهو غير مستلٍّ من رسالة، أو أُطروحة، أو كتاب، أو غيرها.

٢. التقيُّد بتعليمات النشر، وأخلاقيَّاته المطلوب مراعاتها في البحوث المنشورة في المجلَّة.

٣. تدقيق البحثِ لغويًّاً.

٤. الالتزام بتعديل البحث وفق ملاحظات هيأة التحرير المستندة إلى تقرير المقوِّم العلميِّ.

٥. عدم التصرُّف بالبحث بعد صدور قبول النشر من المجلَّة إلَّا بعد حصولي على موافقة خطِّيَّة من رئيس التحرير.

٦. تحمُّل المسؤوليَّة القانونيَّة والأخلاقيَّة عن كلِّ ما يرد في البحثِ من معلوماتٍ.

وأُقرُّ -كذلكَ- بما يأتي:

أ. ملكيَّتي الفكريَّة للبحث.

ب. التنازل عن حقوق الطبع والنشر، والتوزيع الورقيّ والإلكترونيّ كافَّة لمجلَّة (تُراث البصرة)، أو مَن تخوِّله، وبخلاف ذلك أتحمَّل التبعات القانونيَّة كافَّة، ومن أجلِهِ وقَّعتُ.

اسم الوزارة والجامعة والكلِّيَّة أو المؤسَّسة التي يعمل بها الباحث:

(.....).

البريد الإلكترونيّ للباحث (.....).

رقم الهاتف: (.....).

أسماءُ الباحثين المشاركين إنْ وجدوا (.....).

توقيع الباحث

التاريخ: / / م - الموافق: / / هـ

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

كلمةُ العدد

الحَمْدُ لله ذِي الفَضْلِ وَالطَّولِ، والقُوَّةِ والحَوْل، وصلاتُهُ وسلامُهُ على رسولِهِ المصطفَى محمَّدٍ، سرِّ الله المُتَعَال، وخيرِ مَن توجَّه إليه بالمقالِ والحَال، وعلى آلِهِ ذَوِي الفَضْلِ والكَمَالِ، كاشِفِي الغُمَّةِ وسِراج الأُمَّة، الطيِّبينَ الطَّاهِرينَ.

وبعدُ:

فأنْ تكثرَ النوافذُ يعني أنْ يتَّسعَ النُّورُ الَّذي سيُغَطِّي المَكان، واتِّساع دائرة النظر إلى الآفاق؛ لتفحُّصِهَا، وإمتاعِ النظرِ بجمالِ طَلَّتِهَا وَظِلَالِهَا الوَارِفَةِ، وهذا هُوَ المُؤَمَّلُ -بعدَ تتابعِ الجُهْدِ وتضافرِهِ- في أنْ تكونَ عليه مجلَّتُنا الغَرَّاء مجلَّة (تراثُ البَصْرَة)، وهي تَطوِي عامَها السَّادس لتفتحَ شُرفَتَهَا السَّادسة، وهي - بحمدِ الله- ما تزالُ تمتحُ مِن تراثِ هذهِ المدينةِ الكريمةِ، ضمنَ حَلَقَةٍ دَوريَّةٍ أخذاً وعطاءً، أملاً في تحقيقِ غايتِها المنشودةِ؛ لتكونَ أيقونةً لتراثِ هذه المدينةِ الثَّرِّ، وفكرِها، منيرةً دربَ شبابِها ومثقَّفِيها، لتأكيدِ حُضُورِهَا، وإثباتِ دَيمومتِهَا على العَطاءِ وَالبَذْلِ.

خُذْهَا إليْكَ مُرَصَّعَة ... تِيجـانُـها باللُّؤلـؤِ

وَانسِجْ لَهَا مِنْ فِكْرِهَا ... أعـطافَها بتفيُّـؤِ

لِتَكُونَ نهجًا لاحِبًا ... نَرْتَـادُهَا بتشـيُّؤِ

وما تزالُ جدليَّةُ التُّراثِ قائمةً في الفِكْرِ الإنسانيّ، إلَّا أنَّ مَنْ يَتَعَاطَاهُ هُمْ ذَوو البَصَرِ بأهمِّيَّتِهِ؛ لكونه يُرسلُ البقاءَ والخُلودَ الذي أدْرَكَهُ القدماءُ، فباتُوا يثبِّتونَ وجودَهم بمَا يتركونُه لمَنْ سيأتي بعدَهم؛ إذْ كُلُّ تركةٍ تُراثاً، قالَ تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾(الفجر: ١٩)، فتارةً يكونُ التُّراثُ مَالاً، وتارة يكونُ فِكْراً ونَهْجَاً في

الحياة وحِكْمةً، ومظاهرَ تأكيدِ الوجودِ مِن تآليفَ ومخطوطاتٍ ونقوشٍ، ترسمُ قوَّةَ الحضور وعُمْقَ الأثرِ الذي تركَهُ هؤلاءِ في الحَياةِ، ولنَا أنْ نسألَ: هل نحنُ ضمنَ حَلْقَة أسلافِنَا في تأكيدِ هذا المُعْطَى وَدَيمُومَتِه؟ أو سنكونُ الحَلْقةَ المَفقُودةَ التي ستقطعُ المستقبلَ عن ماضيه العَتِيد؟ لنْ نكونَ كذلكَ -إنْ شاءَ اللهُ تعالى- بفضْلِ جهودِ ثُلّة طيِّبةٍ من المتتبِّعينَ والغيارى، وسدنةِ التُّراثِ، وخائضِي غَمراتِه.

وها هو ذا عددُنَا (الخامسَ عشرَ) شاخصاً بينَ أيدِيكم ليكونَ -بعونِ الله تعالى- برهاناً على ذلكَ، فيأتي ليسدَّ جانباً مُهمّاً مِنْ جوانبِ تراثِ هذهِ المدينةِ الزاخرِ، ليتنقَّلَ بينَ أزاهيرَ متنوِّعةٍ في اللُّغةِ والتاريخِ بأقسامِهِ وفضاءاتِهِ المَعرفيَّةِ، وفي آفاقِ التحقيقِ، وجمعِ المتفرِّقِ والمفقودِ، فسيمتحُ القارئُ أوَّلاً مِنْ أريجِ الإمامة، ليُطالعَ صحيفة الوصيِّ لأبي هارون العبديّ المفقودة، مروراً بأدبِ الرِّحلاتِ، إلى الأمثال، فرحلاتِ المستشرقينَ (رحلة الفرنسيّ كارَيه)، وخُشُوعاً عندَ عطاءِ الإمامِ الحُسينِ عليه السلام لأهل البصرة، عندَ كتابِ (بُغيةُ الطَّلبِ لابن العديم) مادَّةً طيِّبةً لبحث البعدُ الغيبيِّ والإعجاز الإلهيّ في هذه الملحمةِ الإلهيَّةِ الإنسَانيَّةِ العُظْمَى، ليكونَ عِلمُ الأُصُوْلِ وعراقتُه محطَّةَ ختامٍ لأبحاثِ اللُّغةِ العربيَّةِ في هذا العدد، فتُطالعُنَا رسالةٌ في المعنى الحرفيّ للسَّيِّد عبد الصَّاحب الحُلُو قدس سره، وَلِيُتوَّجَ العددُ ببحثٍ في اللُّغةِ الإنجليزيَّةِ عن النَّشاط الصِّناعيّ في البصرة خلال عقدِ السِّتينيَّات.

نأملُ أنْ تكونَ للقرَّاء الكِرام سياحةٌ ماتعةٌ في هذه الشُّرفة المطلَّة على فضاءٍ مليءٍ بالمعرفةِ والأصالة، ومنهُ -تعالى- نستمدُّ العونَ والتسديد، والحمدُ لله ربِّ العالمينَ وصلَّى اللهُ على رسولِهِ وآلِهِ المَيامين.

هيْأة التَّحرير

المحتويات

صحيفةُ الوصيِّ لأبي هارون العبديّ البصريّ (المتوفَّى سنة ١٣٤هـ)
الشَّيخ عليُّ سعدون الغزّيّ ٢٩

الطوبونيميا وأدبُ الرِّحلات أسماءُ الأماكن في كتاب (رحلة إلى العراق الشماليّ) للبصريّ محمّد هادي الدفتر (١٩٠٤ - ١٩٦٦)
أ.د. حامد ناصر الظالميّ
جامعة البصرة / كلِّيّة التربية للعلوم الإنسانيَّة / قسم اللّغة العربيّة ٩١

الأمثالُ في أماليّ ابن الشجريّ (دراسة في سياق الموقف)
م.م. أحمد خالد الطيّار
المديريَّة العامَّة للتربية في محافظة البصرة ١٣٥

البَصْرَةُ فِيْ رِحْلَةِ الفَرَنْسِيّ كَارَيْه (١٦٦٩ - ١٦٧٤)
أ. د. حسين عليّ عبيد المصطفى
جامعة البصرة/ كلِّيّة التربية للعلوم الإنسانيَّة / قسم التاريخ ١٦٣

البعدُ الغيبيُّ والإعجازُ الإلهيُّ للإخبار عن استشهاد الإمام الحسين عليه السلام كتاب «بغية الطلب في تاريخ حلب» لابن العديم أُنموذجاً
م. د سالم لذيذ والي
المديريَّة العامَّة للتربية في محافظة ذي قار ٢٣٣

رسالة المعنى الحرفيّ / السّيّد عبد الصّاحب الحلو (دراسة وتحقيق)
الباحث: بهاء حمزة عبّاس
المديريَّة العامَّة للتربية في محافظة البصرة ٢٦٩

Industrial Activity in Basra (1968 - 1979)
Refel H. Khammas Al-Zaidy, Assistant Lecturer
Department of History, College of Arts, University of Basra. 21

البَصْرَةُ فِيْ رِحْلَةِ الفَرَنْسِيّ كَارَيْه
(١٦٦٩ – ١٦٧٤)

Basra in Fren chman Carre's Trip
(1669 - 1674)

أ. د. حسين عليّ عبيد المصطفى

جامعة البصرة/ كلّيّة التربية للعلوم الإنسانيَّة/ قسم التاريخ

Dr. Hussain A. Ubaid Al-Mustafa, Professor,

Department of History, College of Education for Human Sciences, University of Basra.

مُلَخَّصُ البَحْثِ

الأب (كاريه) مبشِّر يسوعيّ رحَّالة فرنسيّ مسؤول الشركة الفرنسيَّة في الشرق، زار البصرة خلال رحلته الأُولى للشرق، ووصلت سفينته إلى البصرة في (٣٠ آب ١٦٦٩م)، وقد أُعجب بها، بل إنَّه فضَّلها على أجمل بقاع الشرق؛ لروعة بساتينها وأشجارها، وغابات النَّخيل فيها.

وكان شاهدَ عيانٍ للأحداث الدامية للحملة العثمانيَّة في سنة (١٦٦٨م) لإنهاء الحكم الذاتيّ لأُسرة آل أفراسياب، وقد أعطى عنها معلومات لم تذكرها المصادر الأُخرى، ولاسيّما مآسي السكَّان البصريّين أثناء الحملة العسكريَّة، وعندما طلب الوالي (يحيى باشا) من كاريه المساعدة من مدفعيَّة سفينة الرحَّالة ضدّ العثمانيّين، امتنع الأخير عن ذلك؛ خوفاً من تطوّر الأحداث لصالح العثمانيّين.

وقد بيَّن (كاريه) طريقة الوالي العثمانيّ لاستمالة أهالي البصرة؛ ليتمكَّن من السيطرة على مينائها، وتجارتها.

وذكر لنا ما حدث لآخر حاكم محلِّي من أُسرة أفراسياب -حسين باشا- من أُمور صعبة أدَّت إلى إبعادِهِ عن الحكم، وإنهاء وجود هذه الأُسرة في حكم البصرة؛ بسبب السِّياسة الجديدة للعثمانيّين.

قُسِّم البحث إلى ثلاثة محاور، هي: المحور السِّياسيّ والأمنيّ، والمحور

الاقتصاديّ، والمحور الاجتماعيّ.

والرد على بعض المغالطات عن المجتمع البصريّ آنذاك، وكذلك تسميات الأماكن وغيرها .

اتَّبع الباحث المنهج التحليليّ النقديّ لما أورده الرحَّالة (كاريه).

الكلمات المفتاحيَّة: (رحلة الفرنسيّ كاريه، البصرة، الرحَّالة، شاهد عيان، الحملة العثمانيّة، نهاية الإمارة الأفراسيابيّة، مآسي البصريّين).

ABSTRACT

Father Carre is a French Jesuit preacher and explorer. During his first visit to the East, he visited Basra where his ship anchored in Basra Port on 30 August, 1669. He was favorably impressed by the city due primarily to its wonderful date-palm orchards and trees. He was a witness of the bloody events following the Ottoman military campaign against Basra in 1668 to put an end to the self-rule of the Afrasiyab Dynasty. He uniquely documented these events portraying in particular the tragic events of the citizens of Basra during the military campaign. When the ruler of Basra Yahya Pasha asked Carre for help through using the guns of the ship against the Ottomans, Carre refused lest war developments should go on behalf of the Ottomans.

Carre highlighted the Ottoman wali's (ruler) approach to attract Basra people to be able to control the City Port and trade. He also touched on the fate of the last Afrasiyab ruler

Hussain Pasha who was expelled later on, marking the end of the Afrasiyab Dynasty in Basra.

The study is divided into three parts: the political and security aspect, the economic aspect, and the social aspect. It adopts an analytical and critical approach refuting throughout the fallacies raised against Basra community at that time and the denominations of certain places.

Key Words: Carre's trip, Basra, the traveler as a witness, the Ottoman campaign, end of the Afrasiyab Dynasty, Basra tragic events

المقدمة

تُعدُّ رحلات الأجانب إلى المناطق التي زاروها -ومنها البصرة- ذات أهمِّية في المعلومات عن الأوضاع المختلفة في الولاية، وأحياناً تكون غير موجودة في المصادر المحلِّيَّة، كما هو الحال في رحلة كارية الى البصرة لمرَّتين.

كاريه دو شامبيون من مدينة (بلوا) الفرنسيّة، ينتسب إلى عائلة فرنسيّة نبيلة، خدمت في بلاط الملك الفرنسيّ لويس الثالث عشر (١٦٠١-١٦٤٣م) وولده لويس الرابع عشر (١٦٣٨-١٧١٥م).

وكان مبشِّراً يسوعيّاً فرنسيّاً، إلا أن جميع المصادر تذكر اسمه، وتصفه بالرحَّالة الفرنسيّ، ولا تشير إلى لقب (الأب). زار الهند مرَّتين، ومرَّ بالشرق العربيّ في أثناء رحلاته.

نُشرت رحلاته في كتابين، قدَّم فيهما معلومات وتفاصيل مهمَّة عن الأماكن والحوادث التي شاهدها ما بين سنة (١٦٦٨-١٦٧٤م) من فرنسا إلى الهند وبالعكس، ولم يُعرف عن سيرته إلا القليل، وبعض الإشارات بالفرنسيَّة في القرن السابع عشر.

طُبع كتابه مرَّتين في باريس، الأُولى سنة (١٦٨٩م)، وكان بعنوان (رحلة إلى الشرق والكثير من القصص المثيرة)، والثانية سنة (١٦٩٩م) بعد أن أجرى عليه

تعديلات كبيرة. وصدرت النسخة الكاملة لمجموعة رحلاته في سنة (٢٠٠٥م)، وهي نسخة محقَّقة.

كان لجهود الوزير الفرنسيّ (كولبير) (١٦١٩-١٦٨٣م) دورٌ كبيرٌ في تأسيس شركة الهند الشرقيَّة الفرنسيَّة في سنة (١٦٦٤)؛ إذ كتب تفاصيل مهمَّة عن حصار القرنة في عهد والي البصرة (يحيى باشا)، الذي كان موجوداً فيها، وقدَّم لنا تفاصيل مهمّة عن واردات البصرة. وفي سنة (١٦٧٠م)، عاد مرَّة أخرى إلى البصرة، وقام بجهد ونشاط تبشيريّ لإنقاذ النصارى في كنيسة الآباء الكرمليّين من مرض الطاعون.

تميَّزت كتابات (كاريه) بأُسلوب مثير للاهتمام جداً، فهو لا يضبط تواريخ الأحداث دائماً، ويسرد أحداثًا غير مهمة ربما استقاها من عامّة الناس، ومع ذلك، فإنَّ رحلته مفيدة لمعرفة أحداث البصرة في نهاية عهد الأُسرة الأفراسيابية (١٥٩٦-١٦٦٨م) ربما لم تذكرها المصادر المحلِّيَّة في البصرة آنذاك.

وبعض ما جاء في رحلة (الأب كاريه) يكاد يكون جديداً لم تتطرَّق إليه المصادر المحلِّيّة والعربيّة عن البصرة، ويبدو أن تلك المعلومات استقاها من اباء الكنيسة الكرمليّة في ولاية البصرة.

والجدير بالذكر أنَّ الذي كتبه عن البصرة كان أكثر ممّا كتبه الرَّحَّالة الآخرون عنها في القرن السابع عشر.

استعمل (كاريه) أسماء للأماكن لم يستعملها العثمانيُّون في كتاباتهم، منها القسطنطينيَّة التي تغيَّر اسمها الى استنبول عندما فتحها السّلطان محمّد الفاتح عام (١٤٥٣)، وتغيّر اسمها إلى استانبول بعد الحرب العالمية الأُولى، وفي سنة

(١٩٣٠م) تغيَّر اسمها إلى إسطنبول، وتغيَّر اسم العثمانيّين إلى الأتراك، وسمّى (شطّ العرب) باسم (الشطّ)، وسمّى (نهر العشَّار) باسم (النَّهر الصَّغير)؛ لذا استعمل الباحث أسماء الأماكن المعروفة عند البصريّين.

قام (كاريه) برحلتين الأُولى في سنة (١٦٦٩م)، وهي الرحلة المهمَّة؛ لما أورده فيها من معلومات مهمّة عن البصرة، واستمرّت رحلته هذه ثمانية أشهر، وكانت رحلته الثانية قصيرة، وقُسِّمَت إلى مرحلتين: السفرة الأُولى في (٦ تموز سنة ١٦٧٢م)، واستمرَّت ثلاثة عشر يوماً، وكانت السفرة الثانية من (١٦ نيسان ١٦٧٤ الى ٣ أيَّار)، واستمرّت سبعة عشر يوماً.

اعتمد الباحث على كتاب معنون بـ «رحلات الأب بارثيلمي كاريه في العراق والخليج العربيّ وبادية الشام (١٦٦٩-١٦٧٤م)» ترجمة وتحقيق: د. أنيس عبد الخالق محمود، د. خالد عبد اللَّطيف حسين. نشرته المؤسِّسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت (٢٠١٤م).

قُسِّم البحث إلى ثلاثة مباحث، هي:

أولاً: المبحث السّياسيّ والأمني

تناول جهود العثمانيّين لإنهاء حكم الإمارة الأفراسيابيّة، وخروج آخر والٍ (الأمير حسين باشا) مهزوماً، ودخول الجيش العثمانيّ إلى البصرة، وما حلَّ فيها من دمار وخوف وفزع من العمليّات العسكريّة العثمانيّة التي جعلت الناس يهاجرون منها في ظروف مأساويّة، على الرغم من إعلان العثمانيين العفو العامّ في عهد الوالي (يحيى باشا)، الذي أعقب الأمير (حسين باشا)، الذي استمرَّ في

مقاومة العثمانيّين بدون جدوى. واستمرَّ الوضع المأساويّ في المدينة حتّى قيام العثمانيّين بتهدئة الأوضاع، وتشجيع الناس على العودة الى مساكنهم.

ثانياً: المبحث الاقتصاديّ

أُعجب (كاريه) بطبيعة البصرة الزراعيّة، ونوعيّة المزروعات فيها، حتّى إنَّه وصف المدينة بأنّها أجمل بقاع الشرق، وأكثرها سحراً، ووصف تجارتها والبضائع التي تُصدرها، ومن أهمِّها التمور. والتمور من واردات الشرق التي تدخل إلى فرنسا؛ لذا طالب مسؤول الميناء (الشاهبندر) بمنح الفرنسيّين التسهيلات التجاريّة في مينائها.

وذكر ما يحصل عليه الوالي من الأموال المتأتِّية من فرض الضرائب على السُّفن التجاريَّة. وكان لكاريه دور كبير في تأسيس الشركة الفرنسيّة في البصرة.

ثالثاً: المبحثُ الاجتماعيُ

وفي هذا المبحث اختلط الجانب الاجتماعيّ بالجوانب الدِّينيَّة، والمذهبيّة، والصِّحِّيَّة، فتكلَّم عن قافلة الحجّ البصريّة التي نظَّمتها الأوقاف الإسلاميّة في البصرة. وذكر أنّ الوالي العثمانيّ أوجد أُموراً لم تكن موجودة سابقاً في قافلة الحجّ، إلا إنّ كاريه عدَّها ضمن ما جاء به العثمانيُّون في هذا المجال. والصحيح أنّ كلّ عمل يقوم به أيّ والٍ عثمانيّ يعدُّ عملًا عثمانيًّا، إلَّا اذا رفضه الباب العالي في إسطنبول، وهذا يجعل الوالي ينال عقابًا لما جاء به.

وكذلك بيَّن ما أحدثه طاعون (١٦٧٠م) بأهالي البصرة من خسائر بشريَّة.

المبحثُ السياسيُّ والأمنيُّ

استعدَّت السفينة التي ستقلُّ الرحَّالة (كاريه) وأتباعه، ووكيل الشركة الفرنسيّة السيّد (فروت) للإبحار بهم من ميناء بندر عبّاس[١] لتوصلهم الى البصرة، في يوم الجمعة (٣٠ آب ١٦٦٩)، فغادرت الميناء باتِّجاه مصبّ شطّ العرب[٢].

وفي أثناء الإبحار في مياه الخليج العربيّ، كان معهم السيِّد (لابيل) وكيل آخر للشركة، سبق له أنْ غادر ميناء بندر عبّاس متوجِّهاً إلى ميناء كنج[٣] عبر البرّ؛ لإرشاد سفينة الشركة الموجودة هناك، وكانت لديه خبرة لا بأس بها في التفاوض مع بلدان الشرق بمهارة عالية[٤].

وصف الرحالة (كاريه) الإبحار من بندر عبّاس إلى شطّ العرب بالمريح جدّاً، وقد وصلوا بمساعدة تيّار المدّ خلال يومين [ذكر أنّه وصل إلى البصرة في (٣١ آب) أي بعد يوم واحد، وليس بعد يومين] مقابل مدينة البصرة، التي تبعد عنه نحو ستِّين فرسخاً[٥]، والأرض هنا مستوية ومنبسطة، وأنَّها أجمل بقاع الشرق وأكثرها سحراً، ويمكن لهذا النهر الجميل العريض العميق [شطّ العرب] أن يحمل أكبر السفن الشرقيّة المحمَّلة بالتوابل والبضائع الباهظة الثمن إلى هذه المدينة المشهورة البصرة[٦].

أعطانا الرحّالة (كاريه) نبذة مختصرة جدّاً عن تاريخ البصرة الحديث في عهد الوالي حسين باشا، فذكر لنا أنَّها ظلَّت خاضعةً للعرب منذ تأسيسها [في العهد الإسلاميّ سنة ١٤هـ]، لكنَّ الملك الفارسي [الشاه]، والسُّلطان العثمانيّ كانا يخطِّطان للاستيلاء عليها بالحيلة أو بالقوَّة، وقد اتَّخذا كلَّ ما يلزم من أجل ذلك(٧).

حدَّد (كاريه) موقع البصرة على شطّ العرب، وبيَّن أنها مدينة مهمَّة للتجارة الشرقيّة، وقد حقّق منها الحاكمان (حسين باشا أفراسياب، ويحيى باشا) مكاسب كبيرة، ومع أنّ الولاية التي تحمل الاسم نفسه واسعة، إلا أنَّ الذكاءَ الشَّديدَ لأهلها وحده هو الذي جعلها من أكبر ولايات الشرق. ذكر (كاريه) تولِّي حسين باشا حكم البصرة بشكل مستقلّ [ولم يذكر بداية حكم الإمارة الافراسيابيّة، وأنَّه تولَّى الحكم بعد حكم أبيه عليّ باشا أفراسياب]، وأنَّ أُسرةَ حسين باشا أفراسياب حكمت البصرة حكمًا ذاتيًّا،(٨) وأنَّ حسين باشا لم يتَّبع أيَّ سلطة [أي إنَّه مستقلّ ذاتيًّا] وحافظ عليها من المؤامرات، وتدخل الجيوش العثمانيّة والفارسيّة مدّة طويلة] من سنة (١٦٥٤-١٦٦٨)، [وتمتَّع هذا الرجل بمؤهِّلات فذَّة، فقد وُلد للحكم، وكان شجاعاً، لكنَّ شجاعته أقلّ من قسوته، وقراراته متشدِّدة، ولكنَّه في النهاية خضع للعثمانيّين الذين استغلُّوا ضعف الفرس، واستولوا على المدينة؛ لأنَّ «سليمان الثالث»(٩) لم يكن في سنٍّ تؤهِّله لحكم الآخرين قبل أنْ يعتلي عرش بلاد فارس، وكانت به حاجة إلى الإرشاد والتوجيه كغيره من الملوك الفرس(١٠).

انتهز العثمانيّون الحريصون على تثبيت حكمهم دوماً هذه الفرصة للهجوم على البصرة، وسرَّهم ألّا ينافسهم الفرس عليها؛ ولأنَّهم يلجؤون الى القوة دائمًا،

فقد أرسلوا المبعوثين إلى جميع ولاة سوريا [يعني بها: بلاد الشام]، والولايات المجاورة [يقصد بها الولايات العراقيّة، ولاسيّما بغداد] بأخذ خيرة قوّاتهم للتوجّه إلى البصرة بتاريخ محدّد، وأُوكلتْ قيادة الجيوش إلى والي بغداد (الوزير مصطفى باشا)، وهو المعروف بالشَّجاعة والشَّهامة والكفاءة العالية، وإنْ كان بخيلًا[١١].

جاءَتْ هذه القوَّة الهائلة عَبر نهري دجلة والفرات اللَّذين غطَّتهما السفن والقوارب، وهي تحمل إنذاراً إلى كلِّ أهالي البصرة والأقضية التابعة لها، وحينما وجد أهالي البصرة أنَّ العثمانيّين يُحاصرونهم من كلِّ جهة، شعروا بالخوف والفزع؛ لأنَّهم عرفوا قسوتهم، ولم يكن في مقرّ (حسين باشا) سوى عدد قليل من الجنود[١٢]، أمّا عامّة الناس، فقد رفضوا الالتحاق بالجيش لانشغالهم بأعمالهم، ولم يعيروه أيَّ اهتمام، وكانوا يريدون الاستسلام قبل أنْ يحاصرهم العثمانيُّون، وقد علم حسين باشا بوجود مَن يفكِّر بخيانته، ويريد تسليم المدينة إلى الأعداء، وكان عليه أنْ يختار بين أمرين: أمّا أنْ يواجه الجيش العثمانيّ، أو أن يستسلم له، ففضَّل مصلحته، وقام بمناورة سياسيّة، فَقَدَّمَ هدايا جزيلةً ليقنع الوالي العثمانيّ بالوقوف إلى جانبه، فتمَّ الاتفاق على سحب القوّات العثمانيّة، وأنْ تظلَّ البصرة تحت حكمه، على أنْ يدفع جزية قدرها (٤٠٠) ألف أيكو[١٣] سنويّاً للسلطان الأعظم. وبعد أنْ وقَّعا المعاهدة، أرسلها حسين باشا إلى الباب العالي لإقرارها، واختار للتفاوض بشأنها (يحيى باشا)، وهو رجل ثري ماكر، تزوَّج ابنة الأمير حسين باشا قبل مدَّة قصيرة، وهي أميرة قويَّة الشخصيَّة تضحِّي بكلِّ شيء من أجل كبريائها، وطول حياتها كانت تتمنَّى الزواج من ملك، وكانت تصرِّح دائمًا أنّها ستتزوَّج من ملك، أو ستُنجِب ملكاً[١٤].

عندما وصل يحيى باشا إلى إسطنبول، لم يجد لدى الوزراء ما كان يبحث عنه، وهو أنْ يصبح ملكًا [يعني: واليًا على حساب حميِّه] لاسيَّما أنّ معاهدة البصرة أُبرمت ضدّ إرادته، وأنَّه يريد إخضاع البصرة للسلطان العثمانيّ (محمّد الرابع ١٦٤٨-١٦٨٧)، وليس إلى والي بغداد. وقد حان الوقت لتصحيح هذا الخطأ حتى تعود البصرة إلى سيطرة السّلطان، وليس إلى سيطرة والي بغداد[١٥].

وبعد أن اختبر الوزراء العثمانيّون نيّات يحيى باشا، وجدوه انتهازيّاً ومستعدًّاً لارتكاب أيّ جريمة، وأفهموه أنّهم سيتركونه يعود إلى البصرة بالامتيازات[١٦] التي كان يتمتّع بها حسين باشا في حال رغبته الدخول تحت حماية العثمانيّين، مقابل أنْ يدعم مخطَّطهم في غزو البصرة [بإرجاعها الى الحكم العثمانيّ المباشر] فوافق على ذلك بدافع كلام زوجته، وبدافع مصلحته الشخصيّة أيضاً.

لم يعد اجتياح البصرة سهلاً كما كان في السابق، فقد أدخل حسين باشا قطعاته إلى داخل الميدان العامّ [في مركز المدينة في محلَّة الباشا والقبلة والسَّيمر]، وطرد الأوباش والمتمرِّدين منها[١٧]، وتزوَّد بالعتاد، وأصلح القلعة [مقرّ الحكم لولاية البصرة]، وشيَّد كثيراً من الحصون القويَّة، ولكنْ أيُّ شيءٍ يمكنُ أنْ يصمدَ إزاءَ الخيانةِ والخداع، فقد حزم يحيى باشا أمره بكلِّ براعة ومكر، مصوِّراً الأُمور بخلاف حالها، وقال إنّه يريد أنْ يعرض خدماته لحسين باشا، وإنَّه خدع السلطان الأعظم، خافياً خداعه بمظاهر الثقة والمحبَّة، وعلى الرُّغم من مهارته في إخفاء مكره عن حميِّه، فإنَّ العثمانيّين كشفوا سرَّه[١٨].

اجتمع قادة الجيوش العثمانيّة وأعلنوا بوضوح أنَّهم ذاهبون إلى البصرة لخلع حسين باشا، وتنصيب صهره مَحَلَّه. شعر الأخير بالخيبة والأسى من خيانة يحيى

باشا له، ولاسيّما بعد أنْ شعرَ أنَّه انخدعَ في اختيار الشَّخصِ غيرِ المناسبِ، ووجدَ مدينتَهُ محاصرة مرَّة أُخرى، وأنَّ الناس لم يعتادوا الهجوم في الوضع نفسه مرَّتين، ما أدَّى إلى زعزعة ثقته بنفسه في اتِّخاذ القرارات الصعبة، وكان حزينًا يائسًا؛ ولذلك عرض على الملك الفارسيّ [الشاه]، تسليم البصرة له شريطة أنْ يتركها ليحكمها طول حياته. وكان جواب الفرس غامضاً، وهو أنّ الملك مهتمّ بأُمور أُخرى، ولا يريد أنْ يخوض مواجهة ضدّ الأتراك. ولم يُرضِ هذا الجواب حسين باشا، ففكَّر بالانسحاب بأسرع ما يمكن بدلاً من انتظار هجوم الأتراك بعد هذا الحصار الطويل، ومن جهة أُخرى بدأت الجيوش تحرّكاتها، وقرَّر والي بغداد احتلال البصرة، ولمّا علم حسين باشا بالأمر الواقع، أسرع في وضع أمواله وأثاثه الفاخر على ظهر الزوارق والسفن التي استأجرها من الهنود، ونقل إليها حريمه ايضاً، فكان مشهد رؤية هذا العدد الكبير لأجمل نساء الشرق دفعة واحدة على الماء مشهداً رائعاً. بعد ذلك قام بهدم المدينة[١٩]، بدءاً بالحصون التي كلَّفه بناؤها مبالغ طائلة، وهَدَمَ قصره، والمساجد المفضَّلة لدى المحمَّديِّين (المسلمين)، ولم يترك لصهره في البصرة سوى الحطام والأنقاض. بَيْدَ أنَّ البصرةَ بقت تتمتَّع بمميِّزات موقعها واسمها المشهور لدى تجّار العالم. فأبحر هو على ظهر السفينة الهنديَّة التي أقلَّته إلى سورات[٢٠]، ومنها انتقل إلى بلاد المغول مع حريمه وأمواله؛ لينعم بالأمان وبالثروات الطائلة التي جمعها، تاركاً للآخرين مهمَّة الدفاع عن بلادهم وحرِّيَّتهم ضدَّ العثمانيِّين[٢١].

في نهاية سنة (١٦٦٨)، وصلت الجيوش العثمانيّة إلى البصرة، فأرعبت أهلها وذَعَرَتهم، ونشرت الخوف فيهم، وبعد أيّام قلائل نصَّبتْ (يحيى باشا) حاكمًا

على البصرة بدلاً من (حسين باشا) بحسب الاتِّفاق، وأكَّد العثمانيُّون عودة التجَّار، وألزموا العرب بترميم مدينتهم، ليعيشوا حياتهم الاعتياديَّة تحت إمرة حاكم عربيٍّ من البصرة هو يحيى باشا [وهو ليس من أُسرة أفراسياب]، وتركوا بعض ضبَّاطهم، وعدَّة قطعات من الانكشاريَّة داخل الميدان العام [مركز المدينة] لجباية الضرائب، وانسحب والي بغداد إلى مقرِّ عمله في بغداد بعد أنْ أرسل الولاة الآخرين الذين شاركوا في الحملة إلى مقرَّات عملهم.

وهكذا تحقَّقت أماني (يحيى باشا)، فلم يعد أحدٌ يضايقه سوى الخيانة، فالجريمة والغدر جزء من حياته، وارتاح بإزاحة (حسين باشا)، وتخلَّص مِن أيِّ قلق في ما لو عاش قريباً منه. وكان يقف الى جانب الباب العالي دائماً، معتقداً أنَّ الخدمات الكبيرة التي يقدِّمها ستعود بالخير لأرجاء الإمبراطوريّة العثمانيّة كافَّة دون ان يعرف ما يخبِّئه له الباب العالي في ما لو تنصَّل من الاتِّفاق الذي وقَّعه[٢٢].

من جهةٍ أُخرى، حاولت زوجته أنْ تمنعه من الطمع بالمزيد، ودعته إلى التركيز على ما يحقِّق آماله. فحثَّ الأهالي على إعادة اعمار بيوتهم، وشجَّع التجَّار الأجانب لاستئناف تجارتهم، وألغى جميع الضرائب مؤقَّتاً، ورفع قيمة دنانيره -السِّكَّة في البصرة- وتظاهر بالفضيلة التي لا يتَّصف بها أبداً [حسب وصف كاريه] ليُوحي للناس أنَّه لا يقلُّ شأناً عن سابقه في كلِّ الأُمور. وعندما أعاد الأُمور الى نصابها، أصبح في وقت قصير واسع الثراء، حتَّى أنَّ ثروته أثارت غيرة العثمانيّين، الذين بدأوا يفكِّرون بالتخلُّص منه[٢٣]؛ إذ أراد العثمانيُّون أنْ تكون حصيلة الضرائب لهم، وأنْ لا يتحكَّم بها (يحيى باشا).

أراد السلطان العثمانيّ أنْ يفرض سلطته الكاملة في البصرة، وأنْ يُخضع

حكومتها له، فَقَرَّرَ طَرْدَ هذا الأمير العربيّ الذي نَفَّذَ كُلَّ ما طُلبَ مِنْهُ. فبعد أنْ أوشك على بناء (ما تهدَّم) من البصرة على الانتهاء، واستؤنفت فيها التجارة، لم يبق سوى أنْ يعاقب (يحيى باشا) على غدره بغدرٍ مماثل. وهذا ما اتَّفق عليه وزراء الباب العالي [صنَّاع القرار في إستنبول العاصمة]، الذين قرَّروا تنفيذ كلمة السلطان، وسرعان ما اكتشف (يحيى باشا) ما كان يُحاك ضدّه في إستنبول، وتأكَّد من ذلك بسبب تصرُّفات العثمانيّين الغادرة بحقِّه، ففي كلِّ يوم كان يتلقَّى أخباراً جديدة عن تحريض العثمانيّين للأهالي على عدم الامتثال لطاعة (يحيى باشا)، وسرعان ما أصبح العثمانيّون أسياداً، وبدأوا بفرض الضرائب على البضائع بحسب أهوائهم، وبذريعة المساومة كانوا يحصلون على السلع بالسعر الذي يحلو لهم. واستولوا على أجمل بيوت المدينة. وقد تلقَّى (يحيى باشا) تحذيرات عن سوء نيَّات العثمانيّين والدسائس التي يحيكونها ضدَّه داخل البصرة، ولكنَّ أمراً وَصلَهُ[٢٤] عَلِمَ منه خطورة بقائه في البصرة مدّة أطول[٢٥].

ذهب جمع كبير من العرب يشكون للوالي استبداد الأتراك، وافتعلوا مشاجرة على أمر تافهٍ جدّاً، فقتل العثمانيُّون بعضهم بالسيوف، وتعاملوا مع الآخرين بقسوة شديدة، ولمَّا أخبرهم أنَّه يُصلح بينهم، وبدلاً من أنْ يطيعوه حدث هياج عامّ، وعرف أنَّهم متأهِّبون للعصيان لو أجبرهم على الطاعة، ووصل الأمُر بهم إلى تهديده بإحراقه في منزله؛ لذا قام برفع الأمر إلى إستانبول، ولعلمه أنَّ العثمانيّين لا يحترمون العرب، وأنَّهم يريدون كلّ البشر والثروات ملكاً لهم؛ لذا جمع أصدقاءه وقوَّاته وهرب من المدينة نحو السهول (الريف)، كما فعل (حسين باشا) قبله في أكثر من مرَّة[٢٦].

وهكذا بيَّن (كاريه) ما لاحظهُ من مدى طغيان العثمانيّين في هذه المدينة الغنيّة التي أصبح العثمانيّون أسيادها بعد هروب واليها (يحيى باشا)؛ إذ قاموا بفرض الضرائب على الحاجات كلّها بما في ذلك الموادّ الغذائيّة، ونهبوا المخازن وبيوت المواطنين عنوة، وقَرَّرَ (يحيى باشا) أن يقوم بفرض الحصار على البصرة [لم يبيَّن كاريه تفاصيل الحصار]، وتمكّن من انتزاعها منهم بعد عدَّة مصادمات، فقد كان لديه عشرون ألف رجل من خيرة المقاتلين، الذين قاموا بمهاجمة القوّات العثمانيّة في مركز المدينة، واستطاعوا ذبح جميع العثمانيّين بالسيف باستثناء (٤٠٠ مقاتل) سمحوا لهم بعد مقاومة عنيفة بالانسحاب إلى القرنة[٢٧]، التي تبعد يوماً واحداً شمال البصرة في منطقة من الأرض عند ملتقى نهر دجلة والفرات، وقد ارتكب (يحيى باشا) بذلك خطأ جسيماً أفقده صوابه [على حدِّ قول كاريه]، فقد تهيّأ لمطاردتهم بعد أن ثبت مركزه في المدينة، وكان يردُّ هجمات العثمانيّين المتحصِّنين والمزوَّدين بوسائل دعم الحصار، فقد كانوا يقاتلون من مكان مرتفع ضدَّ النبال والرماح، بالأسلحة النارية التي تتفوَّق عليهم كثيراً، التي نادراً ما تُخطئ أهدافها، ومن السهل عليهم التحكُّم بأسلحتهم؛ لأنَّهم كانوا يرون أعداءهم بوضوح، وهم ينقلون قتلاهم وجرحاهم الذين كانوا من خيرة قادتهم وجنودهم. وبعد أن استمرَّ حصار القرنة مدَّة طويلة، فَقَدَ (يحيى باشا) خلالها خيرة قوّاته، واضطرَّ إلى رفع الحصار، ثمَّ الهرب.

هذا ما أراد (كاريه) أنْ يوضِّحه عن ما يسمِّيه الثورات الكبرى للبصريّين [ثورة الشعب البصريّ] ضدّ ظلم العثمانيّين، وقدْ نوَّه (كاريه) بأنَّه سوف يذكره فيما بعد ليبيِّن ما فعله العثمانيُّون وحاكمهم الوالي العثمانيّ في البصرة وأهلها[٢٨].

بقي قائد الجيش العثمانيّ [والي بغداد] شهرين على شواطئ شطّ العرب إلى أنْ اطمأنَّ أنَّ كلَّ شيء على ما يرام، وأنَّ التجارة تسير بشكل جيِّد، فترك والياً عثمانياً ليحكم البصرة، ومعهُ أربعة آلاف جنديّ تركيّ لحماية الموقع [مركز الولاية]، وانتقل بجيشه عائداً إلى بغداد من البصرة مارَّاً بالقرنة ثانية، فترك فيها حامية عسكريَّة قويَّة، وصرف ولاة ديار بكر، والموصل، وماردين، وحلب، وغيرهم من ولاة سوريا الذين جاءوا للمشاركة في حملة البصرة التي انتهت بانتصار باهر للعثمانيّين في سنة (١٦٦٩)[٢٩].

ذكر (كاريه) أنَّ أحوال العرب ليست على ما يُرام [للأحداث الدامية في البصرة على أثر الحملة العثمانيّة؛ لإنهاء حكم الإمارة الأفراسيابية سنة ١٦٦٨]، إذ جاءه بعض المسيحيّين من أتباع الكراملة، وأبلغوه بوجود إشاعة قويَّة في المدينة تفيد بأنَّ العثمانيّين عادوا بجيش كبير جدَّاً لإنقاذ موقع حامية القرنة الذي استولى عليها أتباع الوالي (يحيى باشا) بعد أن علموا أنَّ الأهالي والتجَّار يعتزمون مغادرة منازلهم وتجارتهم -كما فعلوا ذلك مِنْ قبلُ مرّتين أو ثلاث مرّات كانت إحداها في عهد حسين باشا- فعند المساء ناموا في السفينة حتّى لا يسمحوا للملَّاحين بالنزول إلى البرِّ[٣٠].

وفي اليوم التالي أي: يوم السبت (٣١ آب) نزل (كاريه) وجماعته الى المدينة أيضاً لزيارة حاكمها العربيّ الذي كان من أقرباء يحيى باشا، كما جرت العادة في بلدان الشرق، وذكر أنَّه حينما يقوم واحدٌ بزيارة أحدِ الحكَّام، أو إحدى الشخصيّات المهمّة، فعليه أن يقدِّمَ هديَّة له. وبعد أنْ استقبلهم مبعوث الوالي بودّ واحترام، أكَّدَ لهم حماية (يحيى باشا) ورعايته لهم، وأخبرهم أنَّه أرسل إليه

مَن يبلغه بخبر وصولهم إلى البصرة.

كان السيِّد (فروت) مهتماً جدّاً بمصالح الشركة الفرنسيّة، فأعجبه الترحيب والمجاملات التي قابلهم بها الحاكم العربيّ في هذه الزيارة، الذي لم يقبل هديّتهم إلّا بصعوبة بالغة، ولكنَّ (كاريه) خَبُرَ تفكيرَ العربِ، وأساليبهم منذ مدَّة طويلة، فأخبر وكيلهم بأنَّهم سيرون القصد من وراء كرمِ العرب قريباً، فهم لا يقدّمون أيّ شيء ما لم يكن وراءه هدف، فمِنْ غير المألوف أنْ يأتيَ الشَّاهبندر بنفسه بعد عودتهم إلى سفينتهم ما لم يكن بجعبته شيء، بخلاف نيَّته، فإنَّه جاء ليعرض خدماته، والحقيقة [القول للرحَّالة] أنَّه جاء ليرى معدَّاتهم، وأسلحتهم، وذخيرتهم الحربيّة على ظهر السفينة ليتمكَّن بطريقة أو بأُخرى من الحصول على بعض القطع لإيصالها إلى مركزهم في القرنة للقيام بآخر محاولة لطرد الأتراك ومنعهم من السيطرة على هذا الموقع الذي يحمي الممرَّ المائيَّ لنهري دجلة والفرات، وليتمكَّنوا من إيقاف الحشود التركيَّة عند هذا المكان[٣١].

وبعد أن أخبروهم أنَّ أميرهم [الوالي] منهمك جدّاً بشؤون البلاد، أكَّدوا أنَّه يأمل أنْ نُبادِلَهُ الكرم باستئجار أو بيع مدفعين من مدافع السفينة الفرنسيّة للوالي دون خشية من الأعداء؛ إذ سيتمكَّن من هذا الموقع الحصين في القرنة من إغلاق هذا الممرّ تماماً أمام الجيوش العثمانيّة التي لا تستطيع المجيء من نهر دجلة الا عَبر هذا المصبّ الذي تحرسه قلعة القرنة.

كان (الأبُ الكرمليّ) أسبانياً من اقليم أراغون، وهو يتمتَّع بتقدير كبير بين العرب، وتمكَّن بذكائه الحادّ من إدارة الدير في البصرة بسلام منذ سنوات، وهو يرغب كثيراً في أنْ يوافق (كاريه) على طلب البصريّين، ويفضّل سيطرتهم

على سيطرة الأتراك القساة جدّاً تجاه المسيحيّين، فضلاً عن أنَّ معاناة كنيستهم الكاثوليكيّة ستكون أقلّ في ظِلّ العرب، ولكنَّ هذا الأب لم يكن مهتماً إلّا بمصالحه، وبالمحافظة على الدير، ويُريد إقناع (كاريه) أنَّ الموافقة على مطالب العرب بشأن المدفعين والذخيرة الحربيّة لمساعدة أميرهم (يحيى باشا) عمل جيِّد[٣٢].

وما زادهم شهرة واحترامًا بأعينهم ما قاموا به تجاه قائد جيشهم شقيق الأمير يحيى، فحينما أرادَ شَنَّ آخر هجوم على موقع القرنة أُصيب بجرح من إطلاقتي بندقيّة، فكانت واحدة في رقبته، والأُخرى اخترقت جسده، فتمَّ إخلاؤه من ساحة المعركة، ونُقل إلى مركز البصرة، وظَلَّ ينزف لمدَّة ثلاثة أيّام، ثُمَّ استدعوا الطبيب الجرَّاح في السفينة لمعالجته، ورافق (كاريه) رئيس الجرَّاحين في السفينة السيِّد (أُوجير) الذي كان بارعًا في مهنته، فاعتنى به عناية فائقة، وأنقذ حياته، وسرعان ما بدأوا يعانون من جموع المعاقين العرب الذين تمَّ إحضارهم، وهم يصرخون ويتوسَّلون بشكل يُثير العطف. وغالبًا ما كانوا يضطرُّون لإعطائهم بعض الأدوية للتخلُّص من مضايقتهم[٣٣].

اشتدَّت المعارك بين المقاتلين البصريّين والعثمانيّين، وحينما خاب أمل عرب البصرة في مهاجمة موقع القرنة، بدأوا يشنُّون في كلِّ يوم ملحمة مأساويَّة قاسية ضدَّ جميع الأتراك، فيباغتونهم في معسكراتهم في القرنة، ويقتادونهم إلى مركز البصرة ليقتلوهم.

روى لنا (كاريه) في هذه الأيّام عمليّة قتل جماعيّة [كان فيها شاهد عيان] ضدَّ عدد كبير من العثمانيّين بطريقة قاسية جدًّا جعلته وجماعته يرتجفون من

ذكرها، فقد تمَّ عرض بعضهم عراة تمامًا على مرأى من الأولاد والنساء وعامّة الناس الغاضبين، وسُلخت جلودهم، وتمَّ تقطيعهم أحياء، ورُميت جثثهم إلى الكلاب على قارعة الطريق، وخزق[٣٤] آخرون، وعُرضوا عراة فوق أسِرَّة معرَّضة لحرارة الشَّمس الشَّديدة، حتّى تمزَّقت أجسادهم، وتحوَّلت إلى أشلاء، وتُركوا على هذه الحالة يُعانون أقسى ألوان العذاب، ودُفنت أجساد آخرين حتَّى رقابهم في السَّاحات والطرقات العامَّة، وبقيت رؤوسهم حيَّة مثار عبث واستهزاء الناس[٣٥].

وذات صباح عندما كان (كاريه) عائدًا مع الجرَّاح الخاصِّ من الأَمير العربيّ، شاهد مع جماعته ثلاثة أتراك مدفونين أحياء في الفناء المقابل لقصر الأمير، فعادوا إليه، وقالوا له إنَّهم لا يمكن أنْ يأتوا بعد الآن إلى منزله لإعطائه الدواء؛ لأنهم لا يريدون أنْ يروا هذا التنكيل الجسديّ الذي رأوه أمام باب قصره، وطلبوا منه أنْ يترك هؤلاء وثلاثة آخرين كانوا يُسحلون، فوافق على طلبهم؛ وبعد أنْ أطلقوا سراحهم، أخذهم (كاريه) إلى السفينة، وجعلهم ضمن بحَّارتهم؛ كانت بهم حاجة إليهم في السفينة، وكان من بين هؤلاء السِّتَّة أربعة متأثِّرين جدًّا بما قام به (كاريه) لإنقاذ حياتهم، فاعتنقوا المسيحيَّة على يده بعد أن كانوا مرتدِّين -غير مسيحيّين على حدِّ تعبيره- فتمَّ تعميدهم على ظهر السفينة، ولم يكد يمرُّ يوم دون رؤية المدينة مليئة بالمشاهد المحزنة والمؤلمة التي جعلت الناس في كآبة وحزن ورعب شديد لا يعلمون كيف سينتهي.

وكان (كاريه) وجماعته يشاهدون العصابات [كما يسمِّيهم] تأتي وتذهب في الشوارع أحيانًا، فاضطرَّ الحرفيُّون إلى إغلاق دكاكينهم خوفًا منهم، وأحيانًا

يُشاهدون عامة الناس نساء وأطفالًا يتدافعون على غير هدًى، حتَّى سادت الفوضى في كلِّ مكان دون أن يعرفوا ما العمل؛ لأنَّهم لا يعرفون حقيقة الوضع في معسكر الوالي الذي يُصِرُّ على السيطرة على الطرق، وإغلاق جميع الجهات المؤدِّية إلى مركز المدينة، حتّى لا يسمح بمرور أيِّ شخص قد ينقل أخبار اقتراب الجيش العثمانيّ، ولم يكن هناك مَن يعرف الأخبار سوى حاكم المدينة والمسؤولين فيها الذين يقومون بحراسة قصر الأمير جيِّدًا ليلًا ونهارًا حيث حريمه وخزائنه وحرَّاس أبواب المدينة، ما جعل الناس في حيرة من أمرهم، فلا يعرفون ما يقرِّرون(٣٦).

ويصف (كاريه) تقدّم القوّات العثمانيّة في (٥ أيلول)، التي أصبحت على بعد يوم واحد من شمالي القرنة، فبدأ العرب المحاصِرون للقرنة منذ خمسة أشهر بالتفرّق جماعات، وقد شقّ الفرسان العثمانيّين طريقهم نحو الجنوب، ونزل آخرون إلى النهر للاستيلاء على القوارب والسفن، وعند الساعة التاسعة مساء خيَّم ظلام شديد، فعاد (كاريه) وجماعته إلى سفينتهم، وتفاجئوا برؤية الشاطئ مغطًّى بالقوارب والسفن والطوّافات وغيرها من المعدَّات الخشبيّة، وكلُّها محمَّلة بالجنود بلا ضجَّة ولا أنوار، وقد دخل معظمهم القناة المؤدِّية إلى البصرة [يعني بها نهر العشّار]، واتجه نحو شاطئ شطّ العرب خفية.

لم تكن القوات التي سارت في جنح الظلام والسكون إلّا نذير شؤم، ويُعتقد أنّها متَّجهة لمباغته المدينة وتدميرها، وهو الأمر نفسه الذي كان يخطِّط له الوالي، لو سنحت له الفرصة، وبناء على أخبار مؤكَّدة، وبعد أنْ لاحت رايات العثمانيّين شمالي القرنة، تسلَّل إلى قصره في محلَّة الباشا في البصرة تحت جُنح الظلام، وتوجَّه

إلى السراي حيث حريمه وأمواله والمقرَّبون إليه، ونقلهم على ظهر القوارب والسفن، وقادهم على بعد خمسة فراسخ جنوبي البصرة [خرج من مركز المدينة إلى شطّ العرب] إلى قلعة الحفّار[٣٧]، حيث خيوله وجماله وكلّ ما يلزم لهروبه، وبعد أنْ اختفى تسلَّل إلى الجانب الشرقيّ من شطّ العرب إلى بلاد فارس، التي عُومل فيها باستصغار، وظَلَّ يُعاني لمدَّة سنة كاملة من الإقامة بين العرب [في عبادان والأهواز] في الجانب الشرقيّ من الخليج دون أن يعرف أين يلجأ ليجد الأمان[٣٨].

وفي البلاط الفارسيّ لم يرحِّب به أحد، وكان موضع احتقار الجميع؛ لأنَّه استخدم الخيانة مع حميِّه (حسين باشا)، وسلَّم البصرة إلى العثمانيّين، وكان الفرس يشعرون بالغيرة الشديدة من هذا العدوِّ الوقح الذي سيكون قريباً جدَّاً من الحدود الفارسيّة في حالة استيلائه على هذا الموقع، ولم يتمكّن (يحيى باشا) -كذلك- من اللَّجوء إلى بلاط كبير المغول؛ لأنَّ نفوذ حميِّه (حسين باشا) قد يطاله هناك، فيتعرَّض للعقاب بسبب خيانته، وفي ما بعد لجأ إلى بلاط (أورنزيب)[٣٩].

أخيراً أبحر الى ميناء كنج في ساحل الخليج الفارسيّ بواسطة الأُسطول البرتغاليّ المتّجهة إلى (نموا)، وعندما مَرَّ (البرتغاليُّون) بسواحل الهند الشرقيَّة لجأ إلى الأمير (شيفاجي)، الذي كان لعِدَّة سنوات مصدر رُعب للممالك المجاورة التابعة لكبير المغول؛ لقيامه بسلب ونهب الكثير من المدن الكبيرة والأقاليم التي حاصرها من كلِّ الجهات بجيوشه[٤٠].

ولكي لا يبتعد (كاريه) عن الأوضاع في البصرة، ترك خبر هذا الأمير العربيّ في جيش (شيفاجي)، وعاد إلى البصرة لمتابعة ما حدث بعد هروب (يحيى باشا)،

الذي اختفى كما ذكر كاريه في ليلة الخامس من أيلول (١٦٦٩)، دون أن يعرف ما حَلَّ بالمدينة وأهلها[٤١].

وفي يوم الجمعة (٦ أيلول)، ذهبت بعض النسوة ليتناولْنَ طعامَهُنَّ كالمعتاد في قصر الوالي، وكُنَّ يحمِلْنَ زهوراً وفواكه لنسائِهِ، ولكنَّهُنَّ تفاجأْنَ حينما لم يجدْنَ رجالَهُنَّ ولا الحرس، فهَرَعْنَ إلى منزل الحاكم، وهُنَّ في حالة رعب وحيرة، وحينما لم يجدْنَ سوى بضعة جنود، عَمَّهُنَّ الهلعُ والفزعُ، فأخذْنَ يَصْرُخْنَ ويَرْكُضْنَ في الشوارع بطريقة رهيبة، وبدأنَ بتمزيق ملابِسِهُنَّ ونَتْفِ شعورِهُنَّ وتَقْطِيعِ حُليّهُنَّ، فلَفَتَ صراخُهُنَّ ونَحِيبُهُنَّ انتباه الآخرين، وفي ذلك اليوم عَمَّ الرُّعبُ المدينة، وعلا الصُّراخ ونحيب الرجال والنساء والأطفال المثير للشفقة، وهرع الأهالي إلى قصر الوالي، ومنزل الحاكم، ومنزل الشاهبندر، وإلى بيوت كبار ضبّاط المدينة، فلم يجدوا سوى الجدران والصّالات والغرف الخالية المهجورة، فتفاقم عليهم الحزن والصراخ واليأس بطريقة مأساويَّة، وأُصيبت المدينة السكنية بحالة ذهول، وشُوهِدَ الجنود يجوبون المدينة، ويدخلونَ إلى البيوت والأسلحة بأيديهم، فيجدونها مفتوحة، ويستولون على أثاثها، ويبحثون عن الكنوز(الأموال) المخبَّأة للتجَّار الأغنياء. ومن جهة أُخرى شُوهِدَ الرِّجالُ يلوذون بالفرار، تاركين خلفهم زوجاتهم محبطات في الشوارع وسط الساحات، يتبعُهُنَّ أطفالهُنَّ، ويحيطون بهنَّ، وهم يصرخون ويبكون بكاءً مراً[٤٢].

كان هذا المشهد [الذي ذكره كاريه] يحدث طول ذلك اليوم في مدينة البصرة، فلم يكن أحدٌ يفكِّر بأمواله وثرواته أو بمنزله، ولم يكن هَمُّ الاهالي سوى إنقاذ أنفسهم.

وشاهدوا حشداً كبيراً من التجَّار يُهرعون إلى دير الآباء الكراملة، وطلبوا السماح لهم بالصعود إلى سفينة (كاريه)، ولكنَّهم رفضوا ذلك؛ لأنَّهم أركبوا الكثيرين منهم في الأيّام السابقة. وبعد أن شاهدوا الذُّهولَ يَعُمُّ المدينة، تمّ أخذ كلّ آباء الدير الكراملة مع كثير من العوائل المسيحيّة، وعانوا صعوبة في نقلهم على ظهر السفينة، بسبب الضجَّة المفزعة التي حدثت في كلِّ جانب، وفي أثناء مرورهم يرون في كلِّ دقيقة نساء مسكينات يستوقفونهم، ويُلْقِيْنَ بأنفسِهُنَّ على أقدامِهِمْ، ووجوههنَّ يملؤها الحزن والخوف والدموع، وهُنَّ يتوسلْنَ أنْ يُنْقِذُوهُنَّ، فاضطرُّوا أن يسدّوا آذانهم ليتخلَّصوا من إلحاحِهُنَّ، لأنَّهُمْ كانوا يقومون بإنقاذ الأُسر المسيحيّة المرعوبة التي تبعتهم بعد مشاهدتها القوّات العثمانيّة تجوب أرجاء المدينة [لدخول طلائع القوّات العثمانيّة إلى مركز المدينة]، لكنَّ كلَّ ما رأوه في هذه المدينة مِن حزن ورعب طول اليوم قليل، مقارنة بما رأوه في آخر النهار في بداية نهر البصرة الصغير [نهر العشَّار]، حينما دخل جميع الهاربين إليه، ووجدوا أنَّ سعة شطّ العرب، وسرعته تزرع الرُّعب والهلع في نفوسِ أشجع الشجعان، ومع ذلك هرعوا للعبور إلى الضِّفّة الشرقيّة منه لينجو بأنفسهم. وشاهدوا هناك أُموراً محزنة، فمَن لم تكن لديهم القدرة أو الوسيلة في الحصول على سفينة أو قارب وضعوا طوّافات من جذوع النخيل والألواح الخشبيّة لينقلوا عوائلهم؛ إذ يمكن للماء حمل أثاثهم والقليل من الأمتعة، فمَن لديه الوقت الكافي لصناعة هذه القوارب يستطيع عبور النهر الواسع بأمان، ولكنَّ بعضها كان يتفكَّك ويغرق بسبب الأعداد الكثيرة من الناس المتواجدين عليها، وأكثر ما أثار حزن (كاريه) عامة الناس ممّن لم يحصلوا على قارب

أو وسيلة لعبور هذا النهر السريع، وقد شاهد رجالاً حاملين نساءهم على ظهورهم، واولادهم مربوطونَ على جوانبهم، وهم يسبحون على حزمة صغيرة من الخشب، أمَّا مَن لم يستطع نقل هذا الحمل، فكانت سرعة التيَّار تجرفه إلى الضِّفَّة الأُخرى، وشاهد آخرين يستخدمون مواشيهم بعد أن يربطوا بذيولها حُزماً من الخضروات والقصب وقِطع الخشب، وأشياء مشابهة أُخرى، فيضعون نساءهم وأطفالهم عليها لتجرَّها ذيول الأبقار والجواميس والخيول وغيرها من الدوابّ، وبهذا أصبح النهر مغطًّى تماماً بهذا النوع من وسائل النقل، وتحوَّل الخوف إلى رُعب شديد(٤٣).

وعند حلول اللَّيل رأى (كاريه) وجماعته من سطح سفينتهم هذه المشاهد المحزنة، وكانت المأساة تتعاظم مع تزايد عتمة اللَّيل، فهناك مَن لم يتمكَّن من المجيء واللَّحاق بالآخرين، فيغرق، وهناك مَن يُحاول سحبه فيغرق معه بعد أنْ يُطلق صيحات وأنَّات مؤثِّرة تجعل ضفَّتي النهر ترتعد خوفاً.

وأخيراً بعد أنْ عانى (كاريه) وجماعته ما عانوا في نقل المسيحيّين بسفينتهم، رفعوا المرسى في منتصف اللَّيل، وانطلقوا مع تيّار النهر الذي دفعهم بعيداً عن أنظار ومصاب جميع هؤلاء المساكين البائسين، العائمين حولهم مع صرخاتهم ونحيبهم الذي ملأ قلوبهم حزناً [على حدِّ تعبير كاريه](٤٤).

شاهد (كاريه) الحُزن يخيِّم على أهالي البصرة الذين لجأوا إلى (الحفار) في خضم الاضطرابات ليواصلوا طريقهم، فذهب قسم منهم نحو الساحل الفارسيّ، وذهب القسم الآخر باتِّجاه الجزيرة العربيّة(٤٥).

وفي يوم الأحد (٨ أيلول)، وبعد عاصفة استمرَّتْ أربعًا وعشرين ساعة

متواصلة، صفا الجوُّ، فشرعوا في الإبحار، وفي يوم واحد وصلوا إلى مصبِّ نهر شطّ العرب [الفاو]، وعند الفجر دخلوا الخليج العرّبي، واندهشوا لرؤية جثث أعداد كبيرة من الرِّجال والنِّساء والأطفال طافية فوق أمواج البحر، فبعضهم عار تمامًا، وبعضهم الآخر بملابسهم [بسبب العاصفة]، وحينما رأوهم تصوَّروا في بادئ الأمر أنَّ البحرَ ابتلعَ بعضَ السُّفُنِ؛ بسبب عاصفة يوم أمس، ولكنَّهم تأكَّدوا ممَّا رأوا حينما لاح لهم مشهد آخر في البحر، فقد شاهدوا ما يُشبه حوتًا كبيرًا من بعيد راكدًا على سطح الماء، فوجَّهوا سفينتهم شمالًا ليتعرَّفوا على حقيقته، وحينما اقتربوا منه كثيرًا، وجدوا سفينة مقلوبة، وعليها عدد كبير من الأشخاص العُراة يلوِّحون لهم بأيديهم، فأرسلوا لهم قاربًا لإنقاذهم لئلّا يبلعهم البحر، واقتادوهم إلى السفينة، فوجدوهم في حالة وهن شديد، وما إنْ وصلوا إلى سطح السفينة حتّى سقطوا مِن شدَّة الإعياء، وكانوا عشرة رجال وستَّة نساء، اعتنى بهم جرَّاحو السفينة، وبعد بضع ساعات استعادوا وعيهم بعدما أُفرغوا ما في جوفهم، وتناولوا شرابًا منعشًا، ثُمَّ قاموا بتغطيتهم ببعض الملابس، وأخذهم إلى الحجرة الكبيرة في السفينة، فأسرع كلٌّ منهم يُخبرهم كيف حلَّت بهم الكارثة، فبدأوا يقصُّون عليهم حكاياتهم المثيرة، وكيف أنَّ حالة الفوضى والفزع التي اجتاحت البصرة خلال الأيّام السابقة جعلتهم يأخذون القارب الكبير الذي كان موجوداً في المياه بسرعة، فصعد إليه مئتان وعشرون شخصاً من رجال ونساء وأطفال إلى جانب أثاثهم ومؤنهم، فقد حُمّل القارب بأكثر من طاقته، وحينما أرادوا الخروج من الشَّطّ والدخول إلى الخليج العربيّ، باغتتهم دوّامة هناك، وبقوا على تلك الحالة مدّة أربع وعشرين ساعة، وهم يقاومون

أمواج البحر العاتية التي قلبت قاربهم وحطمته، وظلَّت بقاياه طافية، فتعلَّق بها عدد كبير منهم، بَيد أنَّ معظم الأشخاص خارت قواهم، فغرقوا بعد أنْ فقدوا أيَّ أمل لإنقاذهم، وحينما انبلج الفجر، شاهدوا السفينة تُبحر، فشجَّعوا بعضهم على أمل أنْ يتمَّ إنقاذهم، وهو ما قام به أتباع (كاريه) فعلاً.

وبينما كان هؤلاء المساكين يقصُّون على كاريه وجماعته تلك القصص المأساويَّة، كان بحَّارة السفينة وملَّاحوها يقومون بجولة بالقارب حولها بحثاً عن الجثث الطافية لتجريدها من الخواتم والأساور والقلائد الثمينة جدّاً التي كان رجال ونساء الشرق مولعين بالتزيَّن بها، مقابل المعروف الذي أسداه ملَّاحو السفينة لإنقاذ أرواح هؤلاء العرب المساكين الذين شعروا بالارتياح بعد أنْ تمَّ أخذهم بالسفينة من البصرة[٤٦].

وصلت السفينة إلى جزيرة خرج[٤٧] في يوم الإثنين (٩ أيلول)، وأعطى (كاريه) وصفًا عامًّا للجزيرة، فقد رست سفينتهم عند الجانب الشرقيّ لشطّ العرب، مقابل مسجد يُشبه هرماً مرتفعاً جدّاً.. وكيفيّة حصول أهلها على اللُّؤلؤ والقوارب المستخدمة في عمليَّة الصيد، وطريقة الغوص، وأعطانا وصفًا تحليليًّا جيِّدًا للأوضاع الإداريَّة في البصرة، ومنها وصول الجيش التركيّ إلى البصرة سنة (١٦٦٩).

وبعد أن قضوا بضعة أيّام في جزيرة (خرج)، ورأوا فيها هذه الأَشياء المثيرة، قرَّروا الذّهاب إلى الجانب الفارسيّ لنقل هؤلاء التجّار والمسافرين من البصرة، وليبيعوا البضائع التي كانت سفينتهم تحملها، ثُمَّ أبحروا جميعاً حتّى وصلوا إلى ميناء (بندريق)[٤٨]، الذي يضمُّ مدينة مهمّة جدّاً على الساحل الفارسيّ.

وبعد أن أنزلوا جميع الأشخاص الذين أتوا معهم من البصرة، وبينما كانوا يتجوَّلون على ساحل (الخليج العربيّ)، علموا أنَّ القوّات التركيّة وصلت إلى قلعة القرنة بعد أيّام قليلة من مغادرتهم البصرة، وبعد أنْ علم والي بغداد (مصطفى باشا ١٦٦٧-١٦٧١) الذي كان قائد الجيش العثمانيّ بالدمار الذي حلَّ بالبصرة، والهزيمة المؤلمة لأهاليها، أرسل جواسيسه فوراً، وكانوا يحملون رسائل سلام [محاولة كسب الأهالي وتهدئه الأُمور المأساويَّة التي مرُّو بها؛ لتطمين الأهالي والتجّار في المدينة، وفي الأماكن المجاورة لها -في الساحل الشرقيّ من شطّ العرب- وحثّهم على العودة إلى منازلهم بكلِّ أمن واطمئنان، واستعادة ممتلكاتهم وثرواتهم، مؤكِّدًا لهم أنَّ الاتراك لم يأتوا أعداء لسلب الممتلكات والثروات إطلاقًا، أو بهدف طردهم من أراضيهم، وإنَّما هم أصدقاء وحماة لهم من طغيان الأُمراء العرب، [ويقصد بذلك حكَّام الإمارة الأفراسيابية][٤٩].

أدهش هذا الخبر أهالي البصرة كثيرًا؛ لأنَّهم كانوا يخشون عاقبة ممارساتهم القاسية ضدّ الأتراك، بعكس توقّعاتهم حول قيام هذا الجيش القويّ بتدمير مدينتهم بالكامل، ولكنَّ الوالي التركيّ قَدَّر هذا الأمر بطريقة مختلفة بعيدة جدًّا عن الانتقام من هؤلاء العرب، فقد أولاهم كلَّ رعايته، وطلب منهم العودة إلى ديارهم، ونشر جيشه في كلِّ مكان؛ لكي يستتبَّ الأمن والنّظام، ودافع عن العائدين إلى المدينة، ووعدهم أنَّهم لن يتعرَّضوا لأيَّة معاملة سيِّئة[٥٠]. وكانت هذه سياسة حكيمة [على حدِّ قول كاريه] لها فوائد كثيرة للعثمانيّين؛ لأنَّهم كانوا يخشون أنْ يفقدوا في هذه السنة عائدات السفن الهنديّة والأَجنبية الأُخرى التي تجوب جميع جهات سواحل (الخليج العربيّ)؛ إذ كانوا على علم بما ستؤول إليه

الثورات؛ ولهذا السبب اضطرَّ القائد العثمانيّ إلى إرسال القوارب بحرًا والسعاة برًّا إلى جميع موانئ الخليج العربيّ والسواحل العربيّة؛ لإقناع التجَّار بالعودة إلى البصرة مع سفنهم وبضائعهم، وأنْ يمارسوا تجارتهم الاعتياديّة بكلِّ أمان، مؤكِّدًا لهم أنَّ العثمانيّين لم يأتوا بصفة رجال حرب مطلقًا، وإنَّما بصفة تجّار مسالمين لشراء البضائع من الشرق، ولإعادة التجارة إلى سابق عهدها. وعندما وصل المبعوث العثمانيّ إلى ميناء (بندريق) حاملاً رسائل معتمدة من القائد العثمانيّ، عاد بعض كبار التجَّار اللَّاجئين، وهم في حالة من الخوف والاضطراب. وعندما توجَّه المبعوث إلى كبار التجّار، أوضح لهم كلَّ الأُمور؛ لحثِّهم على العودة إلى البصرة مع ثرواتهم وبضائعهم، حتّى أقنعهم بالعودة [اتخذ العثمانيُّون وسائل ترضية كثيرة لإرجاع التجّار إلى المدينة وممارسة أعمالهم التجاريّة خوفًا على تجارة العراق من الانكماش] وما طمأنَهم أكثر أنَّهم شاهدوا السلحدار[٥١] ومسؤولي الكمارك العرب الآخرين في البصرة جميعًا مدعوِّين عَبر رسائل خاصَّة كتبها القائد العثمانيّ لهم لطمأنتهم، وحثِّهم فيها على العودة إلى أعمالهم، كما كانوا في عهد الأُمراء العرب [عهد الإمارة الأفراسيابيّة]، وحينما استلم الشاهبندر، الذي كان لاجئاً في ميناء بندريق هو وجميع أفراد عائلته، هذه التأكيدات من الوالي العثمانيّ، دعا (كاريه) مع التجَّار للمجيء إلى مخيَّمه للتباحث معهم بشأن القضايا التي يرغب في التباحث بشأنها[٥٢]، أي قضايا التِّجارة في البصرة، وقضايا التسهيلات الكمركيَّة والضَّرائب.

المبحثُ الاقتصاديُّ

عند دخول سفينة (كاريه) شطّ العرب، ارتفع منسوب المياه (المدّ)[٥٣]، وغمر البرّ لمسافة ثمانين فرسخاً، وانحدرت السفينة نحو بساتين ملأى بأشجار مثمرة تنتشر على ضفَّتيه، وما يُضفي على هذه الأشجار فتنة طول السنة أنَّها مغطَّاة بأوراق الأزهار والأثمار التي زادت منظرها ورائحتها سحراً، وغالباً ما كنّا نرى هذه الأشجار مزدانة باللَّيمون، والبرتقال، والرمَّان، والفستق، واللَّوز، والخوخ، والمشمش، والتفّاح، والكمثرى، وغيرها من الفاكهة[٥٤].

يقوم العرب [وهم السكَّان الأصليُّون للبلاد] بزراعة الكروم وغيرها من الأشجار المثمرة الكبيرة اللَّذيذة جدَّاً، وكلُّها تُسقى عَبر قنوات صغيرة [تسمى الشّاخات]، تفصل البساتين عن القرى المحاذية لضفاف الشطّ؛ وبسبب الحرّ طول السنة[٥٥] تيبّس الأشجار والشجيرات الصغيرة التي ذكرتها[٥٦]؛ لذا يقوم الفلَّاحون بزراعة أشجار الفاكهة بين غابات النخيل الباسقة المحمَّلة بالتمر العالي جدّاً[٥٧]، التي يشكِّل سعفها الكثير والعريض ظلالاً لجميع الأشجار المثمرة؛ ليقيها من الشمس المحرقة، وبما أنَّ جميع الأشجار والنَّخيل مثمرة، فإنَّ عائدات الوالي من الأشجار والنَّخيل المطلّ على النَّهر وحدها تبلغ مليون أيكو.

قام الشاهبندر[٥٨] بدعوة (كاريه) وملَّاحي السفينة للإقامة في منزله المريح

في المدينة لحين تفريغ البضاعة بعد أنْ تشاور مع وكيل الشركة الفرنسيَّة بشأن عرضه، وقد شكره الرحَّالة، وأبلغه أنَّهم يُريدون ضمان وضع التّجّار الفرنسيّين قبل أن تنزل بضائعهم إلى البر؛ لأنَّهم لا يريدون أنْ يزجُّوا أنفسهم في مسألةٍ قبل أن يعرفوا الوضع الحقيقيّ للمدينة وأحوالها الداخلية، وأحوال مخيَّمات العرب فيها؛ لئلَّا تحدث بعض المفاجآت، ويداهمهم الوقت، فلا يتمكَّنوا من الابحار ثانية إن أنزلوا بضاعتهم؛ ولضمان ذلك ولكي يتأكَّدوا من سلامة بضائعهم، نزل (كاريه) في مساء اليوم نفسه إلى البرّ مع وكيل الشركة الفرنسيّة السيّد (فروت) وقد وصفه (كاريه) بالرجل الذكيّ الذي يفهم التجارة جيِّداً، وبعدها ذهبوا للإقامة في دير الآباء الكراملة[٥٩] حتى يستطلعوا الأوضاع هناك.

وفي يوم الأحد الأول من أيلول نزل (كاريه) مع جماعته إلى البرّ، وذهبوا إلى دير الآباء الكرمليّين كالمعتاد، وجاءهم الشاهبندر، ونائب الوالي، والضابط الأول للجمرك لمناقشة الشروط التجاريّة للشركة الفرنسيّة التي يريدون تأسيسها في البصرة، ومناقشة أُمور أُخرى أيضاً[٦٠]، ونعت هؤلاء المسؤولون العرب باللُّطفاء والكرماء للغاية؛ إذْ وافقوا على جميع مطالبهم، حتّى أنَّهم منحوهم امتيازات كبيرة جدًّا لم يحصل عليها أيّ أوربيّ منذ مدَّة طويلة، وانتهت المباحثات باتِّفاقيّة خاصّة بشركتهم، وحصولهم على كلِّ المكاسب الاقتصاديَّة التي تمنَّوها من العرب، وقبل أنْ يُغادر الرَّحَّالة طلبوا منه عقد جلسة خاصّة في مكان لا يضمُّ سوى نفر قليل، فانْسَحَبَ جميعُ الحاضرين، ولم يبقَ سوى الرئيس الأعلى لدير الآباء الكرمليّين (الأب سيفيرين)، ووكيل الشركة السيّد (فروت). وحينما خلا الجوّ كشفوا لهم أسرار شؤونهم التجاريَّة. وفي البداية رحَّبوا بالرَّحَّالة

وجماعته كثيرًا، وأخبروهم أنَّ أميرهم (يحيى باشا) الذي كان على رأس القوَّات التي تُحاصر القُرنة قد أرسلهم للترحيب بهم، وتمنَّى لهم التقدّم والازدهار في عملهم، وأكَّد لهم أنَّهم يستطيعون الاعتماد على ثقته ونفوذه في جميع شؤونهم(٦١).

كان الوكيل التجاريّ الفرنسيّ (السيِّد فروت) الذي قدَّم الهديَّة (لوكيل الوالي) يحمل وجهة نظر مشابهة، وكان يُريد إعطاء العرب ما يتمنَّون باستثناء هذين المدفعين، لكن كانت لديه أوامر من المدير العامّ السيِّد (كارون) بعدم القيام بأيِّ شيء دون استشارة وموافقة (كاريه)، وعندما سأل (كاريه) عن الموضوع أجابهم دون مراوغة: أنَّه لا يمكن أنْ يُوافق على مقترحهم؛ لأنَّ هذا قد يلحق ضرراً جسيماً بالفرنسيّين وبالتجارة التي يُريدون أنْ تؤسَّس شركتهم على أساسها في هذا الموقع من البصرة في وقتٍ بدأ فيه عملهم ينتشر في الشرق، وأفهمهم (كاريه) أنَّ المدافع والاسلحة والذخيرة الحربيَّة التي وضعها رئيس الشركة على ظهر السفينة هي للدِّفاع عن أنفسهم ضدّ قراصنة البحر الذين يريدون مهاجمتهم ليس إلّا، ولا يُسمح بالمتاجرة بهذه الأشياء أو بيعها مطلقاً في الممالك الأجنبيّة التي ترسل سفن الشَّركة إليها، ولا حتّى البضائع الأُخرى التي تركتها الشَّركة بعهدتهم لبيعها، أو المتاجرة بها إلّا بموافقته، ومِن جهةٍ أُخرى أخبرهم بأنَّهم موجودون بصفة أصدقاء للعثمانيّين والعرب على حدٍّ سواء، ولا يُمكن أنْ يُعطوا السّلاح لأحدهما دون الآخر، فيكون ذلك ضدّنا، فضلاً عن أنَّ الشَّركة ستفقد كلَّ تجارتها فيما لو عاد العثمانيّون، وأصبحوا أسياد البصرة مجدَّداً، حينها سوف يمنعونهم من المتاجرة هناك لو علموا أنَّنا أعطينا الأسلحة إلى هؤلاء العرب لمقاتلتهم، فمِنَ الأفضل لنا أنْ نُشعر العرب، بأنَّنا لا نستطيع

قبول طلبهم، عندها سينصرفون ببعض الحزن[٦٢].

ناقش (كاريه) وكيل الشَّركة على انفراد، وأفهمه النَّتائج والأضرار الكبيرة التي قد تحدث للتّجارة الفرنسيّة في حال موافقتهم على تزويد البصريّين بالسِّلاح والذخيرة ضدَّ العثمانيّين الذين هم على وشك دخول البصرة، ومِنْ ثَمَّ سيُعطون العثمانيين كلّ الحقّ برفض الامتيازات التّجارية التي منحوها للدول الأُوربيّة، ولزيادة الأمان من مفاجآت العرب، ونصحهم بعدم السَّماح لرجال السَّفينة بالنّزول إلى البرّ مطلقاً، وأنْ يذهب هو وبعض الضّبّاط لقضاء بعض الأمور الضّرورية في المدينة على أنْ يعودوا للنوم في السّفينة حتَّى يكونوا مستعدِّين للإبحار في حال حدوث أيَّة مفاجآت، وعدم السَّماح لأيّ ضابط أو جنديّ عربيّ بالصّعود إلى السَّفينة إطلاقًا، ولو بذريعة الواجب أو الزيارة؛ لئلَّا يباغتوهم، ويحصّلوا بالقوّة على مالم يحصّلوا عليه باللّين والهدايا، وهكذا تمَّ حسم الموضوع[٦٣].

وحينما نزل (كاريه) مع جماعته إلى البرّ ذهبوا للإقامة عند الآباء الكرمليّين، وقد رحَّب بهم الشاهبندر العربيّ، وحاول إقناعهم بقبول السكن الذي أعدَّه لتفريغ بضاعتهم، لكنْ بعد أنْ علم (كاريه) أنَّ أوضاع العرب سيِّئة في البصرة لم يجازف بإنزال أيّ شيء مِن السَّفينة، ولاسيَّما حينما شاهدوا كثيراً من التّجّار الأغنياء الذين جاءوا يبحثون عنهم خفية في ذلك المساء؛ ليستقبلوهم في السَّفينة مع بضائعهم وثرواتهم [ربما البضائع الخفيفة وأموالهم]، وهذا ما أكَّد زحف الجيش العثمانيّ القادم من شطّ العرب، وظهر على مشارف البصرة، وتمّ صرف النَّظر عن إنزال بضائع الفرنسيّين من السفينة، واكتفوا بتحميلها بالكنوز

والثروات[٦٤] التي أحضرها الآباء الكرمليُّون خفية في المساء [هذه مبالغة في تقدير أموال دير الآباء الكرمليّين] وقرَّروا المغادرة بسفينتهم وقواربهم الكبيرة [إذن كانت هناك قوارب مع السفينة التجاريَّة توصل السِّلع الثمينة والأموال من الشاطئ إلى السفن] ليلاً مع بعض التجَّار الأثرياء ممن لا يحملون سوى الأموال والجواهر والأحجار الكريمة والحلي الخفيفة، وبدون أنْ تكدِّس السَّفينة بمَن لديه بضائع كثيرة، وقاموا بهذه العمليّة ليلًا حتّى لا تُثير ريبة العرب في البصرة، فيضايقونهم لو علموا بمغادرة هؤلاء التجّار في خضمّ تلك الفوضى والقلق الشديد الذي بدأ يوتِّر أجواء مدينة البصرة . ذكر (كاريه) حادثًا حصل لهم وأفادهم، وهو أنَّ العرب توقّفوا عن إقلاقهم ومضايقتهم، وبدأوا يلاطفونهم كثيرًا أينما يجدونهم [في كلِّ مكان]، وكانوا دائمًا ما يزورون آباءهم وأصدقاءهم الجرحى في معسكراتهم، وكانوا ينقلونهم إلى مخيَّمهم؛ إذ لا يوجد بينهم أطبّاء جرّاحون، ولا أدوية كالتي عندهم[٦٥].

وحينما ارتفع منسوب مياه شطّ العرب، رسوا على بعد فرسخين جنوب البصرة، بالقرب من جزيرتين في وسط الشّطّ، هما: امستردام، و مدل بورج[٦٦]. وهما الجزيرتان اللَّتان مرُّوا بهما عند صعودهم الى مصبّ شطّ العرب، ولا يزيد طول كلتيهما عن ربع فرسخ، وكلتاهما مليئتان بالنَّخيل العالي، وبكثير من الأشجار المثمرة الأُخرى، وتكثر فيهما الثّمار اللَّذيذة وكثير من البطيّخ الأصفر، والبطيّخ الأحمر (الرقّي) والخيار، والخضار، والبقول، والأعشاب المكسوَّة بخيوط الكتَّان الناعمة جدًّا، وهكذا كانت الضّفاف الأُخرى لشَطّ العرب[٦٧].

وفي اليوم التالي، السبت (٧ أيلول)، تمَّ رفع أشرعة السَّفينة للإبحار،

وخرجوا بأقصى سرعة من هذا النَّهر، وبعد أنْ قطعوا أربعة فراسخ بصعوبة بالغة، عصفت بهم رياح غربية عاتية معاكسة مصحوبة بأعاصير وزوابع مخيفة أجبرتهم على التوقّف على بعد ستّة فراسخ جنوب البصرة، أمام (قلعة الحفار)، ووصف (كاريه) هذه القلعة بأنَّها بُنيت في عهد (حسين باشا) أقوى أمير عربيّ في البصرة لحماية شَطِّ العرب، الذي يتفرَّع إلى ثلاثة فروع، فالوسط هو المجرى الطبيعيّ الذي يتَّجه ليتلاشى عند سفوح الجبال العالية على السَّواحل الفارسيَّة بعد أنْ يروي مساحات كبيرة من الحقول الشَّاسعة، وأمَّا الفرع الآخر الذي يقع في الجهة المقابلة لقلعة الحفّار، فيمتدُّ نحو الجنوب، ويتَّجه ليسقي السَّواحل العربيّة، ويتلاشى بالقرب من جزيرة البحرين[٦٨] في الخليج، الشَّهيرة جدّاً بالصيد الوفير لأجمل اللآلئ الشَّرقيَّة، واستمدَّت هذه القلعة تسميتها من مفردة عربيّة تعني (المعبر)؛ إذ يتمّ دفع الرّسوم الكمركيّة في أثناء الدخول والخروج منها[٦٩]، مع أنَّ (كاريه) أوضح لاحقاً [في المخطوط الأصليّ] أنَّها تعني مكاناً لجباية الضرائب، لكنْ يفهم من سياق النصِّ أنّ المقصود بها (الجسر)، وقد بناها عرب البصرة لإجبار القوارب والسفن الكبيرة الأُخرى التي تتردَّد إلى الشَّطّ على دفع رسوم المرور، ولكنَّ العثمانيّين هدموها في سنة (١٦٦٨)، وهي سنة إنهاء حكم الإمارة الأفراسيابيَّة في عهد أميرها (حسين باشا) [عند استيلائهم على البصرة أول مرّة، وهذه المرَّة الثانية]، فدمَّروا القلعة؛ لاعتقادهم أنَّها عديمة الفائدة، وهدموا المتاريس، وأزالوا منها بعض قطع المدفعيّة والذخائر الحربيّة، ونقلوها إلى مكان آخر يبعد ستَّة فراسخ شمال البصرة عند القرنة [المسافة هي ٨٠ كم]، وهي موقع بالغ الأهمِّيّة بسبب التقاء نهري دجلة والفرات في هذا

المكان الذي يحمي مدينة البصرة، وهو بوَّابة الأمان لحماية بغداد[٧٠].

مدح السيِّد (فروت) مساعد (كاريه) شخصيَّة الشاهبندر [الذي يسمِّيه بالعربيّ، ولم يذكر اسمه]، فوصفه بأنَّه يتمتَّع بشخصيَّة قويَّة ونفوذ كبير، وحينما وصل (كاريه) إلى البصرة، ولبَّى الزّيارة، استُقبل بمنتهى الاحترام، وعندما انفرد به قال لهم: إنَّه من المفيد أنْ يستمع إلى رأينا ونصيحتنا بشأن عروض العثمانيّين العمليّة التي دعوه فيها للعودة إلى البصرة، وكان معه السيِّد(فروت) التَّاجر والدبلوماسيّ الفرنسيّ المعتدل، وكان بسياسته يريد أنْ يكسب هذا العربيّ القويّ؛ لأنَّه كان يُريد أنْ يبيع ويُتاجر بالبضائع الموجودة على ظهر السفينة، وبعد أنْ مدحه وأثنى عليه، قال الشاهبندر: «إنَّه سيتشرَّف بعودته إلى البصرة، وإنَّ العثمانيّين استدعوه لينعم بحمايتهم ونصائحهم؛ وذلك بهدف إقامة التّجارة هناك، ولإقناع الأهالي والتّجّار الذين يثقون بسلوكه وأمانته بالعودة مجدَّدًا». [ويبدو أنَّ المكاسب التي عرضت عليه أغرته، ولكنَّهُ لم يقرِّر العودة إلى البصرة بعد]. وقد لاحظ الشاهبندر أنَّ السيِّد (فروت) يبتسم ابتسامة لم يعرف مغزاها، وطلب منه أنْ يقول رأيه بصراحة، فأجابه بقوله: «إنَّني مندهش جدًّا من شيخ محترم ضليع في معالجة جميع الأُمور مثل حضرتك يريد أن يذهب بكلِّ سهولة إلى الفخِّ الذي نصبه لك العثمانيُّونَ، فبعد أنْ تتوطَّد التّجارة، ويأتي التّجّار من البصرة، سيقومون بتجريدك من أموالك، وثرواتك الطائلة التي جمعتها طول حياتك بمنتهى السّهولة، وهذا الأمر لا يعقل، فمن دون سياسة المصالح هذه لا يرغب العثمانيون أنْ يشاركهم العرب في الحصول على الأموال المهمّة مثل أموال الكمارك في بلاد الشرق أبداً»[٧١].

تأمَّل الشاهبندر ما قاله السيِّد (فروت)، ولا سيَّما حينما نبّهه بالطبيعة العنيفة والمراوغة والمتغطرسة للعثمانيّين، وخطورة الوثوق بهم، واحتمال أنْ يتكرَّر المصير نفسه معه؛ لأنَّ تكديس الكنوز والأموال سرعان ما يؤدِّي بأقوى الأقوياء رفعة إلى هاوية الذّلّ، ولا يتوقّع خلاف ذلك، وكان قد كدَّس الملايين في ستِّين سنة(٧٢) من وظيفته المحترمة، وبإمكان الشاهبندر الذهاب إلى بلاط الملك الفارسيّ مع جنوده، أو إلى الهند؛ ليقضي السنوات المتبقِّية من عمره بأمان واحترام، ماذا كان يأمل أكثر من الراحة والاطمئنان؟ فلديه قصر كبير، وعدد هائل (كبير) من العبيد، وإسطبل جميل، ولآلئ كثيرة، وأحجار كريمة، وكمِّيَّة كبيرة من الذَّهب والفضَّة، ومع كلِّ هذا لم يكن راضياً، وكان يعتقد أنْ العثمانيّين سيسمحون له أن يجني محصول البصرة [يعني به التمر] براحة وهناء وبكلِّ بساطة لقد سحرته هذه الأفكار الخياليّة، فغادر (بندريق) مع كلِّ أفراد عائلته متوجِّهاً إلى البصرة، فاستقبله الوالي العثمانيّ بكلّ حفاوة وترحيب، وطلب منه ممارسة أعماله السَّابقة حتّى يتمّ تحقيق مطلب العثمانيّين(٧٣).

كان العثمانيُّون يعلمون أنَّ تجّار المدينة، والتّجار الأجانب الذين يُتاجرون مع الشاهبندر سيعودون إلى البصرة حالما يبدأ بممارسة عمله؛ لأنَّ هذا الخبر سينتشر على طول سواحل [الخليج العربيّ] بين جميع التّجّار الذين أبحروا معهم إلى ميناء (بندريق)، وسوف يأتون ويطلبون من (كاريه) أنْ يُعيدهم إلى البصرة مع بضائعهم، وسيوافق على طلبهم؛ لأنَّ الفرنسيّين يقدِّرون الفوائد الكبيرة لعودتهم؛ وليقوموا بتصريف بضائع سفينتهم؛ وبما أنَّ (كاريه) كان أكثر المهتمِّين -على امتداد هذه السواحل- بشؤون الشركة بتكليف من السيِّد (كارون)،

وعند مغادرتهم (سورات)، فإنَّ هذه الأُمور كانت تشغله كثيرًا، ولكنَّه كان مهتمًا أكثر برصد طبائع الناس وعاداتهم، والحصول على كثير من المعلومات عن الحياة الحقيقيّة المهمّة أكثر من كلِّ ذهب الشرق وفضّته [على حدِّ قوله]. وذكر أنَّه قبل أنْ يعود إلى البصرة سيتحدَّث عن أهمِّيّة هذا الموقع والثورات التي حدثت فيه خلال السنوات الأخيرة(٧٤).

في نهاية شهر تشرين الأوَّل سنة (١٦٦٩)، عاد كاريه إلى البصرة مرَّة أُخرى، وعند وصوله إلى النهر الصغير [نهر العشَّار] الذي يخترق المدينة، لاحظ على الجهة الأُخرى من شطِّ العرب [الجهة الغربيَّة] أفراد الجيش العثمانيّ بمنظرهم الجميل، وهم يُحيطون بساحل الشَّطّ على امتداد فرسخ واحد، وشاهد آلاف الخيام بجميع الألوان، وقد رفعت الأعلام على رأس كلّ سريّة، وكانت أسلحتهم ودروعهم مغطَّاة بسعف النَّخيل العالي العريض لحمايتها من أشعة الشَّمس المحرقة، وعندما نزل كاريه إلى البرّ مع الآباء الكراملة ذهبوا إلى قصر الوالي العثمانيّ الذي استقبلهم باحترام كبير، وأعرب عن سعادته بهم؛ لأنَّهم أوَّل مَن أعاد كثيراً من الأهالي والتّجّار إلى المدينة، وسمح لهم باستعادة منازلهم، وبساتينهم وممتلكاهم السّابقة، وقام -كذلك- بإعادة الآباء الكراملة إلى ديرهم، ومنحهم مطلق الحرِّيَّة بممارسة شعائر ديانتهم المسيحية كافَّة؛ بسبب كثرة أعداد التّجّار المسيحيّين الذين يُتاجرون في هذه المدينة(٧٥).

في زيارة (كاريه) وجماعته الأُولى للوالي العثمانيّ، تشاورا معه عن الامتيازات والشؤون الأُخرى التي تخصُّ شركتهم الفرنسيّة، وعرضوا عليه الاتِّفاق والأُمور المتَّفق عليها مع العرب [مع يحيى باشا] سابقاً، فوافق على الأشياء

المنصوص عليها، وتحفَّظ على مادَّتين [لم يذكر هاتين المادَّتين، وعلى الأرجح أنَّهما تتعلّقان بإعطاء امتيازات تجاريّة للفرنسيّين] كان لا يريد تمريرهما مطلقاً، ولكن بعد أنْ قاموا بتهدئته وافق عليهما؛ لأنَّه كان في موقف ضعيف، ولا يستطيع أن يرفض شيئاً، ولعلَّ ذلك بسبب دور الفرنسيّين التجاريّ الجديد.

كان العرب [يقصد حكّام الإمارة الأفراسيابيّة، وحتّى حكم يحيى باشا]، قد وافقوا على أنْ تدفع الشركة الفرنسيّة نسبة قدرها (١،٥٪) على رسوم دخول البضائع وخروجها، ولكنَّ النسبة ارتفعتْ إلى (٥٪) لجميع التّجّار الأجانب، وتمَّ تحديد نسبة قدرها (٣٪) على نقل الخيول الفارسيّة والعربيّة من البصرة، وهي الخيول التي طالما كان الفرنسيُّون يرغبون بنقلها على سفنهم دون أنْ يدفعوا عنها أيّ رسوم، وهو أمر يسبِّب خسارة لضبّاط الكمارك الذين يتقاضون ضريبة قدرها (٥٠) إيكو عن الحصان الذي يُنقل إلى الهند والممالك الشَّرقيَّة الأُخرى[٧٦].

وهكذا اتَّفق (كاريه) مع الحاكم العثمانيّ والي البصرة، واستأجر منزلاً كبيراً في المدينة وضع فيه جميع البضائع التي كانت في سفينتهم، التي بيعت خلال وقت قصير بأسعار مناسبة لتجّار البصرة، وسرعان ما قام التّجّار الفرنسيّون بتحميل سفينتهم ببضائع أُخرى إلى الهند إلى جانب كثير من التَّجّار والمسافرين الذين يفضِّلون العودة إلى ديارهم على البقاء تحت حكم وسيطرة العثمانيّين المعادين للهنود[٧٧].

وارداتُ البصرة

«لم تكن واردات البصرة بالشيء القليل لبلاد السلطان الأعظم [حسب تقدير كاريه]؛ لأنَّ البصرة تُعدُّ المفتاح والميناء الرئيس الذي تمرُّ منه جميع أنواع التوابل والأحجار الكريمة وبضائع الهند الشرقيَّة الثمينة برّاً إلى كلّ من سوريا وتركيا و أُوربّا، ناهيك عن الواردات على النخيل والأشجار المثمرة الأُخرى التي تزيِّن ضفَّة شطّ العرب وتُحيط بها، وتشكِّل غابة تمتدُّ على مسافة تبلغ نحو ستِّين فرسخاً»، ويؤكِّد (كاريه) أنَّ عائدَ الإيجار (الضرائب) السنويّ لهذه الأشجار يبلغ مليون إيكو إلى والي البصرة، ولا يُستغرب أيضاً أنَّ قائد الجيش، خلال شهرين من الفوضى والدَّمار الذي عَمَّ المدينة حمل معه (٤٠٠) ألف إيكو أيضاً مكافأة على جهده في هذه الحملة الظَّافرة، وسيطر -كذلك- على مساحات واسعة من الأراضي التي تمتدُّ لمسافة (٣٠٠) فرسخ .

بعد مغادرة الجيش العثمانيّ بأيّام قلائل غادر (كاريه) البصرة إلى بندر عبّاس للالتحاق بسفينة أُخرى لشركتهم بقيت هناك للتفاوض بشأن بضائعهم وغادروا الخليج العربيّ في نهاية سنة (١٦٦٩). ووصلوا إلى ميناء سورات... ثمَّ بدأ يصف الميناء والمدينة هناك، وما حدث فيها، ودورها التجاريّ؛ لذلك قرَّر المدير العامّ للشَّركة الفرنسيّة السيّد (كارون) إرسال سفينتين كبيرتين بالتوابل والبضائع إلى البصرة ...، والسيّد (كولبير) يعتمد على (كاريه) في هذه الرِّحلات الكبرى[٧٨].

اختار المدير العامّ الفرنسيّ الرَّحَّالة (كاريه) للعودة إلى بلاد فارس والبصرة

في سنة (١٦٧٠)؛ وذلك لخبرته بتفكير الفرس وأساليبهم التجاريّة .... الذي قام بتأسيس وكالتهم التجاريّة (الفرنسيّة) في بلاد فارس.

وصف (كاريه) بلاد فارس بالقويَّة، ومعاملة الشاه (عبّاس الثاني) بالطّيِّبة ... وأنَّه منح الفرنسيّين امتيازات كثيرة، ووصف الفرس بأنَّهم شعب مخلص، وذكيّ، وشريف، ومتحضِّر، ولا يتعاملون مع الناس بسوء نيَّة، وبعد أنْ بقوا لبضعة أيَّام في (بندر عبّاس) أكملوا رحلتهم إلى البصرة، وكان معهم عدد كبير من السفن التجاريّة الهنديّة، وبعدها انتقلوا إلى البصرة. وذكر (كاريه) أنَّ أُمور البلد قد تغيَّرت تماماً عمّا كانت عليه حينما تركوها في السَّنة السَّابقة؛ إذ جاء العثمانيُّون إليها من بغداد، وأماكن أُخرى بأعداد (كبيرة)، وكلّهم من التّجّار الذين سيطروا على الأسواق العامَّة، وكانت أسواق الحبوب تحت تصرّفهم، فكانوا يبيعون السِّلع في الأماكن العامَّة، واستولوا على أماكن بيع اللّحوم، وكانوا يتاجرون بجميع السِّلع حتّى الأعشاب والخُضار والألبان والفاكهة، بعد أن انتزعوها من أيدي الفقراء العرب الذين أتوا بها من الرِّيف، ولكنَّ ذلك لا يساوي شيئاً مقارنة بطغيان الوالي العثمانيّ ومضايقاته، ولاسيَّما تجاه التّجّار، فهو يفرض عليهم مبالغ باهظة جدّاً، ما جعلهم يفضِّلون الانسحاب، وهجر المدينة، وترك ومنازلهم وممتلكاتهم الى النهب والسلب، بعد أن دفعوا هذه الضرائب المجحفة التي تُفرض عليهم من يوم لآخر، حتَّى أنَّ أهالي البصرة الأصليّين وتجّارها الذين يخطب ودّهم الجميع، شعروا بقسوة استعباد العثمانيّين وعبوديَّتهم، وقد صدَّق الشاهبندر العربيّ الثَّريّ المحترم -الذي رآه في بندريق- هذه الوعود الزَّائفة لهؤلاء الطغاة، ولاحظ في الحال ما تنبّأ به (كاريه)، ونَدِمَ

كثيراً لأنَّه لم يتّبع نصائحه، وما إنْ انتهى موسم السفن حتّى سُجن هو وضبَّاطه، وحُجرت أملاكه، وبيعت نساء قصره وعبيده في مزاد أمام قصر الوالي إلى جانب الطبيعة المتهوِّرة والظالمة للعثمانيّين. يبدو أنَّ هذا الوالي كان مجبراً على ممارسة هذه المضايقات ليحافظ على نفسه بعد أنْ علم أنَّ الوزراء أرسلوا مبعوثاً من القسطنطينيّة (إستانبول) ليطالبوه بمبلغ (٦٠٠) ايكو للسلطان الأعظم؛ عرفاناً بمكافأته بولاية البصرة، ولم تكن هناك أيّة مشكلة أمام هذا الوالي في توفير هذا المبلغ؛ إذ كان يستطيع تدبيره من المضايقات، ومن الدَّهاء المشبع بالحماس، والورع الشَّديد للدِّين المحمّديّ أيضاً[٧٩].

المبحثُ الاجتماعيُّ

استغلَّ الوالي العثمانيّ مناسبة حجّ البيت الحرام، وفكَّر بتسيير قافلة من البصرة إلى مكّة لأداء الحجِّ، وبدأ (كاريه) يصف ما يُشاهده، وإنَّ الحملة تحمل (خلعة محمّد)، وهي هدايا مِنَ الأموال والجواهر والأثاث تُرسل من عدَّة أماكن من البلاد العربيّة؛ لتزيين وصيانة المسجد الذي يضمُّ ضريح النبيِّ محمَّدﷺ(٨٠).

وبعد أنْ شاهد الأعداد الكبيرة من السفن، وكثرة التّجّار الأجانب القادمين من الهند وغيرها من بلدان الشرق، ومعظمهم من أتباع دين محمّد (الدِّين الإسلاميّ)، أعلن أنَّه قرَّر لكي يحظى بشفاعة [النبيّ] محمَّد، وبوصفه أوَّل العثمانيّين الذين استلموا مقاليد الحكم في هذه الولاية الجميلة من بلاد العرب التي غزتها جيوش سيِّد السلطان الأعظم حديثاً نادى بإرسال كسوة فاخرة إلى الحرم المكّيّ في هذه السَّنة، وأنَّه على استعداد لاستقبال جميع المسلمين، سواء أكانوا أجانب -من خارج البصرة- أم مواطنين ممّن يُريدون أداء فريضة الحجِّ المقدَّسة مع هداياهم وهباتهم في قصر الوالي، أو لدى أُمناء سرّ القصر لتسجيل أسمائهم، وذكر أنَّه يسود اعتقاد لدى المحمَّديّين (المسلمين) أنَّهم لن يكونوا من الناجين -يوم القيامة- ما لم يؤدُّوا فريضة الحجِّ في حياتهم؛ لأنَّ فريضة الحجِّ في حياتهم ترتبط بالاستطاعة، وإذا لم تتوفّر تسقط عن المسلم؟! أو إنْ

لم يُرسلوا الهدايا الثمينة على الأقلّ؛ ولذلك توافدت أعداد هائلة من هؤلاء الحجّاج المتحمِّسين لعقيدتهم، وهم يتراكضون (لأنَّها قافلة كبيرة ورسميَّة) في كلِّ مكان نحو قصر الوالي، وكلّ منهم يجود بما لديه من مال وأحجار كريمة، وأقمشة وبضائع وأشياء أُخرى[٨١]، كلّ بحسب طاقته وقدرته، وحينما أصبح عدد التّجّار كافيًا [اذن هؤلاء يبيعون ويشترون]، صدرت الأوامر بالاستعداد للرحيل مع القافلة في اليوم والوقت المحدَّدَين لذلك[٨٢].

بعد أنْ جمع الوالي مبالغ ضخمة من هذه العبادة المفتعلة [هذا كلام غير صحيح ويبدو فيه تحامل وحقد على الدِّين الإسلاميّ]، حدَّد يوم الرّحيل للقافلة استعداداً لأداء هذا الحجّ المقدَّس. وتمّ الاحتفال الرائع الذي جرى في البصرة على النحو التالي؛ وذلك عند صباح اليوم التالي، وتجمَّع جميع الضبّاط الذين يتولَّون قيادة القافلة المقدَّسة مع الأولياء [المعلِّمين الذين يقومون بتعليم الحجَّاج مراسيم الحجّ]، وشيوخ القصر [أعيان البصرة]، ورؤساء عوائل الحجّاج (الحملداريّة) في قصر الوالي العثمانيّ، وخرجوا في السَّاعة العاشرة بروعة وإجلال. وكان جميع أفراد قصر الوالي التركيّ -وحاميات مدينة البصرة، من فرسان ومشاة، يحملون بنادقهم في الميدان العامّ أمام قصر الوالي، وبدأ عرضهم العسكريّ بنسق جميل، وكلّ مجموعة تحت راية معيَّنة مع الجواويش (الشرطة)، الذين كانوا على خيولهم في صفوف، وهم ينادون بصوت عال، ويضربون بشكل متواتر على طبول صغيرة يحملونها فوق قرابيس السروج[٨٣]، لإعلان بدء السَّير، وترى خلفهم الأولياء وأئمّة المساجد، وهذا الإيقاع يُثير الحُزن والكآبة[٨٤] [ليس هناك ما يثير الحزن، بل الفرح للذهاب إلى الحجّ ووداع الأهل والأحبّة].

ووسط هذا الحشد الموسيقيّ يسيرُ جملٌ مثقلٌ بالأحمال يحمل على سنامه مظلَّة كبيرة مغطَّاة بقطعة كبيرة من الحرير الأخضر، وبالكثير من الشعارات المكتوبة بحروف عربيَّة مطرَّزة بالذهب، وهي تغطِّي الكنز [الهدايا] الذي أرسله الوالي إلى مكّة، وحول هذا الجمل ستَّة جمال أُخرى محمَّلة بالقماش الفاخر والأثاث البديع [لم يحدِّد ما هو هذا الأثاث لتأثيث الحرم المكّيّ المقدّس][٨٥]، وترى حول الجمل أعداداً كبيرة من الحجّاج، وشيوخ المساجد، وهم يستعرضون الأشياء المخصَّصة لتزيين ضريح نبيِّهم [يقصد بها الكعبة المكرَّمة]، وخلف هذه الجموع يسير موكب الفرسان، وحملة الطبول، والموسيقى، والمزامير الخاصَّة بالوالي، وهم يُطلقون أصواتاً رائعة ومتناغمة، وأقلّ كآبةً من موسيقى الشيوخ والملالي المشابهة لصخب محفل السبت والسَّحرة والمشعوذين [تشبيه غير لائق وغير صحيح]، الذين كانت ملامحهم تعكس حُزنهم. وبما أنَّ هذا الاحتفال مقدَّس جدّاً لدى المسلمين، فلا يمكن تصوُّر عدد من جاءوا من جميع الأماكن المجاورة للبصرة، فلا يُعيقهم شيء عن الذهاب إلى قصر الوالي، وكلّ يحمل هداياه ليسجِّل اسمه، ويحظى بشرف المشاركة بالمغفرة في هذا الحجِّ المقدَّس. وكانت الشوارع مكتظَّة بالناس حتّى أنَّ الجواويش كانوا يعانون بشدَّة من المحافظة على نسق السَّير في صفوف، وكانت جميع سطوح المنازل ممتلئة بالنِّسوة المحجَّبات اللَّائي سُمح لهُنَّ بالخروج من القصر لمشاهدة هذا الاحتفال المقدَّس بحسب اعتقادهنَّ. وكانت الفرحة تغمر قلوبهُنَّ، وكُنَّ يُزَغْرِدْنَ فرحاً بشكل مفزع [الزغاريد تدل عادةً على الفرح في مراسيم الزواج والحجّ] من أعلى بيوتهُنَّ بأصواتٍ عالية، (والأصوات هي حسب ما سمعه (لى لى لى لى لى لى) تعبيراً عن فرحتهنَّ، ويجتهدْنَ بالسَّير

راجلات بعيداً عن المجموعات الموسيقيّة، وكان بعضهم يحمل في يده طبلاً يشبه طبول (الباسيك)، وآخرون يحملون دفوفاً صغيرة وآلات موسيقيّة تسبِّب ضوضاء شديدة تتناغم مع أناشيدهم الجنائزيّة[٨٦] [لا توجد أناشيد للحزن، بل فرح دينيّ لرؤية موكب الجمل والهدايا المخصَّصة لهذا الحجِّ المقدَّس] .

وبين هذا الحشد أعجبه منظر تسارع الصبية الصِّغار للمس الهدايا المرسلة، وكلّ واحد منهم كان يريد الاقتراب ليلمسها بأصابعه، ورأيتهم يتدافعون بهوس، حتّى أنَّهم يجرحون أجسادهم ليسعدوا بلمس هذه الأشياء الثمينة المقدَّسة التي تُزيِّن الضريح المقدَّس لنبيِّهم [كرَّر الرَّحَّالة كاريه ظَنَّه بأنَّ مكَّة المكرَّمة هي ضريح النبيِّ محمَّدﷺ]، وبهذه الطريقة خرجت هذا الأشياء من قصر الوالي، وطِيفَ بها في الشوارع الرئيسة للمدينة لتزيد من شدَّة حماس الناس وتمسكهم بشعائرهم الدينية، وبعدها يتمّ إيداعها في منزل رئيس القافلة الذي يخرج في اليوم التالي بكلِّ هذه الأحمال، ويذهب ليخيِّم خارج المدينة؛ استعداداً للرحيل.

إنَّ المبالغ النقديَّة والثروات التي دفعها هؤلاء الحجَّاج إلى حكّام المناطق التي تغادر منها القوافل الذَّاهبة إلى مكَّة أمر لا يصدَّق، فقد أُجبِر الحجَّاج على دفع الرّسوم، وعلى كلٍّ منهم تقديم مصاريف الرحلة [هذه المصاريف شخصيَّة وغير مقنَّنة من المسؤولين]، والهدايا إلى الضريح المقدَّس [ألم يدفعوها إلى حاكم البصرة؟] وبعد أنْ استحوذ الوالي أو الحاكم على كلِّ هذه الأشياء، أخذ قسماً منها، وأرسل البقيَّة بموكب ضخم ومشرّف، وبهذه الطريقة خدع المسلمين الذين يُعدُّ الحجّ ركناً من أركان عقيدتهم، والذين يتصوَّرون أنَّهم لن يحصلوا على

الخلاص إنْ لم يؤدّوا فريضة الحجّ، أو يُرسلوا أحداً لأدائها نيابة عنهم، والذين تصل أعدادهم إلى أعداد غفيرة في كلِّ سنة من جميع الأنحاء، وهم يحملون كنوزهم وثرواتهم الهائلة إلى مكَّة التي ما إن تصل إليها حتَّى تعود إلى خزائن السلطان الأعظم عَبر قناة أُخرى [لم يوضِّح ما هي هذه القناة الماليَّة]، ولدى السلطان الأعظم حكَّام ماهرون ومخلصون يهتمُّون جدَّاً باستلام جميع الهدايا الثمينة سنويّاً من بلاد البربر، ودمشق، والقاهرة الكبرى، وفارس، ومراكش، ومن بلاد المغول، والممالك الأُخرى في الشرق، وآسيا التي تذهب منها كلّ هذه القوافل إلى مكّة.

أمَّا قافلة السلطان الأعظم التي تنطلق من القسطنطينيّة (إسطنبول)، فأتذكَّر أنّها وقعت سنة (١٦٧٢)[٨٧] في أثناء المرور بالصحراء العربيَّة في قبضة أحد الأُمراء العرب، الذي كان تحت إمرته خمسة وعشرون ألف رجل، وكان يجوب الأراضي العربيّة للسطو على القوافل، ولاسيّما القوافل التركيّة، ففي تلك السَّنة نهب جميع قوافل القسطنطينيّة الكبيرة العائدة من مكّة بالكامل –والأمير يسمِّيه المترجم محمّد الشّديد–، ولما اقتادوه إلى خيمة هذا الأمير العربيّ، وبعد أنْ رحَّب به، وتناقش معه طويلاً، ودعاه لرؤية أكثر من ألفي جمل محمَّل بثروات وكنوز انتزعها من قافلة مكَّة المقدَّسة[٨٨] [هذه مبالغة في هذا الكلام، فكيف تسنّى لكاريه أن يعدَّ الجِمال].

وفي مجال المقارنة بين عقيدة الفرس والعثمانيّين، تَبيَّن أنَّ معظم العرب [في البصرة] محمَّديُّون (مسلمون)، إلَّا أنَّهم لا يتَّبعون عقيدة [مذهب] العثمانيِّين، وانَّما يتَّبعون شيعة عليّ [المذهب الشيعيّ]، صهر محمّدﷺ، ويتمسَّكون بمذهب

خاصٍّ يختلف عن مذهب العثمانيِّين كلِّيّاً، (معظم سكّان البصرة من الشيعة في سنة (١٦٦٩) حتّى أنّهم مختلفون في كثير من الأشياء، ممّا ولّدَ حقداً كبيراً وكُرهًا شديداً بينهم [ليس بهذه الحدَّة، بل عاشوا مسالمين بعضهم مع الاخر]، كما أنَّ الفرس يذهبون -أيضاً- إلى أداء فريضة الحجّ، ويحملون هداياهم وهباتهم إلى ضريح صهر محمّد الموجود في ضواحي بغداد [ضريح الإمام عليٍّ عليه السلام يوجد في مدينة النجف الأشرف، وليس في بغداد]، ويحظى بالقدسيّة لدى جميع المسلمين الذين يتّبعون مذهبه، فقابلتُ مجموعة تتراوح ما بين (٦٠٠-٨٠٠) شخص معهم نسوتهم وأطفالهم وخدمهم، حاملين معهم كلّ ما هو ثمين؛ لتزيين وتجميل المسجد الرائع لنبيِّهم [الإمام عليّ ليس نبيّاً وإنّما إمام] عليّ، الذي لا يقلُّ قدسيَّة عن القدسيَّة التي يُوليها العثمانيُّون لمحمَّد صلى الله عليه وآله وسلم(٨٩).

والجدير بالإشارة إلى أنَّ هذه المعلومات دوَّنها الرَّحَّالة جزءاً من تقرير إلى (كولبير)، ووصف هذه الأديان بالمزيِّفة، ويدلُّ ذلك على أنَّ الأب (كاريه) متعصِّب للمسيحيَّة، ولا يعترف بما عداها، وأنَّ الأديان التي يدعو لها أُمراء آسيا والشَّرق ليست سوى سياسات وحيل بارعة باسم الدِّين لزيادة ثرواتهم، وتجريد الناس من أموالهم وممتلكاتهم، وهذا ما رآه عند والي البصرة، وأنَّ الأخير تمكَّن بهذه الحيلة في وقت قصير مِن إشباع جشعه، وأنْ يتفادى غضب وزراء الباب العالي، الذين أرسلوا له خلعة (بدلة خاصَّة لنجاحه في الإدارة)، وحينما علم والي البصرة باقتراب مبعوث إسطنبول، أخرج أهله والانكشاريَّة وكبار التّجّار، والتّجّار الأجانب الأكثر عدداً، والأفضل حماية؛ لأنَّهم سيحملون من مكّة جميع المبالغ والثروات الكبيرة إلى خزائن السلطان الأعظم [هذا غير صحيح؛ إذْ كيف

تحمل الهدايا إلى مكّة، ثمَّ تُنقل إلى السُّلطان؟!] وبعد أنْ رحَّب بالمبعوث بكلّ أدب، اصطحبه إلى قصره، فقدَّمَ له المبعوث الخلعة باحتفال مهيب، وكانت عباءةً أو فروة أرسلها له السلطان الأعظم تكريماً له، ودلالة على سروره باختياره لإدارة حكومة البصرة.

وبعد هذا الاحتفال جنى المبعوث أُولى ثمار رحلته بهديَّة ثمينة بقيمة عشرين ألف ايكو، مع كثير من قطع الأقمشة الحريريَّة الثمينة جدًّا؛ لتخفيف عناء هذه الرِّحلة الطويلة الشَّاقَّة عنه(٩٠).

وبعد عدَّة أيَّام، خرجوا للتَّنزّه على الخيول في ريف جميل يبعد فرسخاً واحداً خارج المدينة، يتبعهم الفرسان والمشاة الأتراك الذين قاموا باستعراض عسكريٍّ، ومارسوا لعبة رمي الرمح من على ظهور الخيل، وأخذوا للتَّنزّه فوق شطّ العرب لرؤية جماله وخصوبة أراضيه، واصطحبوه إلى البساتين، فجلس على أسرّة من الورود وسط الرياحين وأنغام الموسيقى، واستمتع بالولائم والمسرّات، ثُمَّ اصطحبوه لزيارة السّفن الهنديَّة الراسية على الشاطئ [وهذا يعني إعجابهُ بجمال مدينة البصرة]، وقدْ استقبله التّجّار بقذائف المدفعيّة احتفاءً به، وبعد أنْ رتَّب كلَّ أُموره، حمل الهدايا الثَّمينة والمبالغ الكبيرة التي جاء من أجلها، وعاد راضيًا جدًّا عن رحلته، وتحسَّر لمفارقته المكان، وفي أثناء وجود هذا المبعوث لم يشهدوا إلّا الكرم، وتجمّع الفرسان والمتعة، وهتافات الفرح في البصرة(٩١).

وباء الطاعون في البصرة

بعد ذلك بأيّام قلائل، شهدتْ البصرة أيّاماً متناقضة تماماً، ووجهًا مختلفاً كلّيّاً؛

إذ شاهدنا في هذه المدينة البائسة [بعد الاحتلال العثمانيّ] أُموراً تدعو إلى البؤس والبكاء والعطف، فالعثمانيُّون كانوا يتدافعون نحو المكاسب بهياج عظيم، وعندما أصبحت هذه المدينة تحت سيطرتهم، هرعوا إليها بسرعة من ضواحي بغداد، ومن أنحاء سوريا كافّة، وبلدان الشَّرق أيضاً، لكنْ حدث انتشار عدوى الطاعون في كثير من مناطقها، حتَّى أنَّهم نقلوا معهم الأمراض المعدية إلى مدينة البصرة الكبيرة بطريقة سريعة وشديدة، فسرعان ما انتشر مشهد الموتى والوهن في أرجائها كافّة بسبب الحمَّى الوبائيّة التي شملت الجميع: عثمانيّين، وعربًا، وهنود، وفرنجة، وسرعان ما بدأ الدَّمار الهائل الذي حلَّ بالأهالي، ففي أقلّ من ستَّة أسابيع [لم يحدِّد تاريخها بالضبط، وعلى الأرجح أنَّ الطاعون انتشر في بداية شهر أيلول ١٦٧٠]، بلغ عدد الموتى أكثر من ستِّين ألف شخص، حتَّى أنَّ المقابر لم تعد تتَّسع لجثث مَن يموتون يوميّاً، فاضطرّ الأهالي لحفر حفرة كبيرة على ضفاف شطِّ العرب لنقل جثث الموتى إليها بواسطة السّفن، [ويُعتقد أنَّ هذه المقبرة الجماعيَّة كانت في جنوب أبي الخصيب؛ لكونها أرض خالية من السّكّان، وفيها مساحات كبيرة غير مزروعة][٩٢].

وصل (كاريه) بالسَّفينة قبل أن يتفشَّى الوباء في المدينة، ولحسن الحظِّ كانوا على ظهرها، وقد رست وسط النَّهر، وكانوا يتأمَّلون أنْ تحفظهم من هذا الوباء الشَّامل، وبما أنَّهم كانوا مضطرِّين للاتصال مع تجّار المدينة باستمرار؛ إذ توجد فيها وكالة لتجارتهم [الوكالة الفرنسيَّة للتجارة]، فلا يمكنهم أنْ يُجَنّبوا أنفسهم هذا البلاء. وكانت السّفن الهنديّة خالية من البشر تقريباً، وفقد الإنكليز، والهولنديُّون ضبّاطهم، وجميع طاقم سفنهم تقريباً، وفُجِعَ الفرنسيّون باثنين من

رؤساء تجّار الشَّركة، وهما: السيِّد (فروت)، و (لابيل)، اللَّذان داهمهما الوباء مع خمسين آخرين ما بين ملَّاح وبحَّار.

وفي خضمِّ هذه المآسي، أثار فقراء المسيحيّين في المدينة مشاعره، فقد وجد النَّصارى أنفسهم فجأة محرومين من عزاء القساوسة، والكهنة، ومواعظهم بتضحيات كنيستهم في المصائب الكبيرة. وكان الآباء الكرمليُّون الممتلئون حماسة وحبًّا بالتخفيف عن الآم الناس أوَّل مَن أُصيبوا بالوباء؛ لأنَّ كنيستهم كانت ملاذ الفقراء المسيحيّين، وكان رئيسهم الأعلى الأب المبجَّل (سيفيرين) أوَّل مَن لقى حتفه، وتبعه اثنان من رفاقه، ثُمَّ الأبّ الزائر العامّ المبجّل الدَّون (هيروثيموس) اليسوعيّ، وكان رجل دين كرمليًّا من (جنوه)، عُرِفَ بشدَّة التقوى حينما جاء لزيارة أديرة المبشِّرين في البلدان الشَّرقيَّة التي مرُّوا بها في الرِّحلة من الهند حتّى مدينة البصرة التي كان ينوي العودة منها برًّا إلى أوربّا.

وبقي دير الكراملة بدون أيّ شمَّاس[٩٣] لإدارة الطقوس الدّينيّة، ومساعدة الفقراء المسيحيّين، وكان على ظهر السَّفينة راهبٌ من (الكارين)[٩٤] سكّان ساحل كونكان الواقع بين دامون وغوا في الهند، ويذكر أنَّهم أكثر الناس خداعاً ومهارة، وكان هذا الأسقف متألِّماً جدًّا، وهو يرى الكنيسة والارساليّة الكرمليّة في البصرة من دون قسٍّ أو كاهن، فتحدَّث معه طويلاً عن معلوماتهم بأنَّ الوالي العثمانيّ يُريد أنْ يستولي على الإرساليَّة ويهدم الكنيسة [عكس ما فعله حكّام الإمارة الأفراسيابيّة]، وأخبره أنّه لكي يُنقذ الكنيسة والإرساليّة منه قرَّر إرسال أحدهم إلى المدينة؛ ليُقيم في الإرساليّة الكرمليّة ليؤدِّي الشَّعائر المقدَّسة، ويساعد المسيحيّين على البقاء فيها. وقام (كاريه) بجهود حثيثة؛ لكي يُبقي الكنيسة

ونشاطها في البصرة، ولكنَّه رأى انزعاج الأسقُف في النّزول إلى البرّ؛ بسبب استمرار الوباء، وبقي على ظهر السَّفينة للسَّهر على مساعدة المرضى المسيحيّين في حين غادر هو السَّفينة؛ ليُقيم في الإرساليَّة الكرمليَّة، ولحسن الحظِّ كان أمامه نحو شهرين للبقاء في البصرة لإنجاز أعمالهم التّجاريَّة، فانتهز هذا الوقت؛ ليبقى في الكنيسة ليمارس الطقوس لهؤلاء المسيحيّين؛ وليمنع العثمانيّين من الاستيلاء على إرساليَّتهم، وهذا ما اضطرّه إلى إرسال السّعاة بسرعة عَبر البَرّ إلى عاصمة بلاد فارس (أصفهان)، وإلى مقرّ الكراملة في شيراز، إذ وصلته منهم أجوبة عبر الأب الموقّر (إنج)، وهو كرملي فرنسيّ يعمل في شيراز أعطى (كاريه) تفويضًا، وطلب منه ألَّا يترك إرساليَّتهم أبداً لحين وصول المبعوثينِ الكرمليّينِ اللَّذينِ وصلا البصرة في الوقت المناسب قبل رحيل (كاريه)، وقد فرح جميع المسيحيّين الفقراء، إذ كانوا سيفقدون كنيستهم في ما لو استولى الأتراك عليها.

هكذا كان حال البصرة حينما غادرها (كاريه) في شهر تشرين الأوَّل سنة (١٦٧٠)، وكان محظوظاً بالخروج منها سالماً بعد أنْ أصابه المرض مرَّتين أو ثلاث، وهو المرض الذي أنقص عدد أفراد طاقم السَّفينة، وبينما كان يتهيَّأ للرحيل اضطرَّ لاصطحاب بعض الفقراء المسيحيّين، والعرب من أهالي المنطقة لمساعدتهم في قيادة السَّفينة.

وفعل الهنود، والإنكليز، والهولنديُّون مثلما فعلنا، وفي نهاية شهر تشرين الأوّل غادر (كاريه) البصرة، وقطع كلَّ هذه المسافة في الخليج العربي في وقت قصير، وتوقّف في بندر عبّاس[٩٥].

الرِّحلة الثانية إلى البصرة سنة (١٦٧٢-١٦٧٤)

أبحر (كاريه) بسفينته من باريس إلى الإسكندرونة، ثُمَّ توقَّف فيها واتَّجه إلى حلب، ثُمَّ إلى بغداد[٩٦]، ثُمَّ توجَّه بسفينته (الدانق) إلى البصرة، ولو أنَّه أراد الذّهاب عن طريق دجلة البريّ، وهو الطَّريق الأسرع والوحيد الَّذي يمكن أنْ يسلكه، إلّا إنَّه لايزال خطراً؛ لأنَّ أولئك العرب عسكروا على ضفَّتيه؛ ولذا اضطرّ لاختيار الطريق النَّهري، فهو الأسرع والأقلّ خطراً، لكنَّ المشكلة هي صعوبة العثور على قارب.

لقد بذل الآباء الكبوشيُّون في بغداد جهداً مضنياً لمدّة ثلاثة أيّام، ثُمَّ أبلغوه بوجود قاربين على وشك الإبحار، أحدهما قارب (دانق) مُحَمَّل بالذّرة، ولكنَّه سينطلق يوم الجمعة في الأوّل من تموّز (١٦٧٢)، إلا أنَّه تحرَّك للسّفر يوم الأحد (٣ تموز)، وذُكِرَ لنا أنَّ القارب وصل إلى كوت العمارة يوم الأربعاء (٦ تموز)، واستمرَّ بالمسير ليصل يوم السبت (٩ تموز) إلى قرية الزكيّة (الزجيّة)، وكان حاكمها (الشيخ الدرويش معتوق)، الذي يحترمه العثمانيُّون والعرب على حدٍّ سواء لأمانته وذكائه، وللأمان في منطقته.

وبعدها وصل القارب إلى قرية مقرون [يحتمل أنَّها المجر في محافظة ميسان]، وفي (٩ تموز) وصلوا إلى القرنة ليلًا، وذكر (كاريه) أنَّ المرور في القرنة مهمٌّ جدّاً؛ لأنَّ البصرة وبغداد وكلَّ المدن الواقعة على هذين النهرين تعتمد عليها لتوفير الأمان.[٩٧]، وتوجد فيها حامية قويّة، وطوال الخمسة أشهر من سنة (١٦٦٩) فرض يحيى باشا حصاراً بجيشه الذي كان يملك قوّة قوامها (٢٠) ألف عربيّ،

ولكنَّه لم يستطيع فعل شيء، فاضطرَّ للتخلِّي عنها [ذكر ذلك في رحلته الأُولى؛ لأنَّه كان شاهد عيان على الأحداث في البصرة]، وتركها للعثمانيّين الَّذين هزموا العرب فيها[٩٨].

وصل القارب الذي كان فيه (كاريه) إلى شطّ العرب في (١٠تموز)، وعند منتصف النَّهار مرَّ على بضعة جزر يصفها بالسَّاحرة؛ لأنَّها مغطَّاة بالنَّخيل، وبعض أشجار الفاكهة الأُخرى، وكانت هذه الجزر مأهولة، وخصبة جدًّا، ووافرة بالحبوب، والتمور، والأعشاب، وكلّ أنواع الفاكهة، وبما أنَّ القارب لم يكن يبعد عن البصرة سوى أربعة فراسخ، فقد أغراه جمال هذه الأماكن ورائحتها العطرة بالبقاء قليلاً لشراء بعض الفاكهة التي ملأ بها الدانق، ثُمَّ واصل الطريق ليصل البصرة عصراً[٩٩]، وعندما علم الشاهبندر بوصوله، وأنَّه طبيب ممتاز، قام بواجب الضّيافة، وأعدَّ لهم وليمة كبيرة. وكان دير الآباء الكراملة على أحسن حال، وأفضل ممّا شاهده قبل ثلاث سنوات؛ إذ إنَّ الأب الإيطاليّ (هيرونيموس اليسوعيّ) مع آخرين صنعوا الأعاجيب، وأعادوا تأسيس الدَّير، بعد أحداث الحرب العثمانيّة مع ولاة البصرة؛ ولكونهم الفرنجة الوحيدون في البصرة، فإنَّهم يساعدون بكلِّ إخلاص الأفراد الأوربِّيين الَّذين يتاجرون في الشرق[١٠٠].

وبعد أنْ دعاه الآباء الَّذين يصفهم بالطَّيِّبين إلى منزلهم، أبلغهم أنَّ أمتعته يجب أنْ تُنقل من القارب إلى إرساليَّتهم التبشيريَّة، وأنَّ الشاهبندر أخذ كلَّ شيء من حاجاته إلى مكانه، واعتقد أنَّه يريد تفتيشها لفرض ضريبة الكمارك عليها، ولكنَّه نقلها إلى غرفة في بيته هيَّأها للاستراحة، وأصدر أوامر لتلبية جميع مطالبه راغباً منه البقاء معه، ولكنَّه عاد إلى الآباء الكراملة ليخبرهم

بالضيافة، وعندما علم الشاهبندر بذلك سلَّم كلَّ أمتعته، وسمح له بالذّهاب شريطة أنْ يذهب إليه كلَّ يوم.

قام الأب باستلام رسائل من الهند عبر بلاد فارس إلى مديري شركة الهند الشَّرقيَّة في فرنسا، ونقلها عبر الطريق الصحراويّ إلى حلب، واستفسر عن وضع الشَّركة في بلاد فارس، وتبيَّن أنَّها غير جيِّدة[١٠١].

وصل (كاريه) إلى مركز مدينة البصرة يوم الأربعاء (١٣ تموز ١٦٧٢)، فوجدها قد تغيَّرت كثيراً منذ أنْ رآها في سنة (١٦٦٩) و(١٦٧٠)؛ إذ كانت التجارة فيها أقلَّ ممَّا كانت عليه في السَّابق، وقد هجرها معظم سكَّانها؛ بسبب عمليّات الابتزاز والنَّهب التي يقوم بها العثمانيُّون، وقد سبَّب ذلك انتفاضات قام بها العرب الَّذين ما عادوا هادئين مسالمين، ومن جانب آخر أرسل الهولنديون قبل سنة (١٦٧١) وكيلين تجاريين لشركتهم الهنديَّة في البصرة، لا من أجل التّجارة بقدر ما هو من أجل إرسال الرَّسائل والطّرود من الهند إلى أوربا وبالعكس، وكانوا يريدون أنْ يكونوا قادرين على اعتراض الطّرود البريديّة ومراسلات الدول الأوروِّبيَّة بشكل أفضل، وهم مواظبون على مراقبة دقيقة لها، وأذكياء جدَّاً في ذلك، وكانوا يراقبونه، ولكنَّه بقي بعيداً عن الأنظار، وكان الآباء قد أخبروهم بأنَّ (كاريه) برتغاليّ جاء من بلاد فارس[١٠٢].

وفي (١٤ تمّوز ١٦٧٢) أجَّر (كاريه) قاربًا للوصول إلى ميناء كنج، فغادر البصرة يوم (الأحد ١٧ تموز) إلى كنج، ولكنَّ إعصاراً عنيفاً جدَّاً في شطّ العرب أصاب القارب، إلّا أنَّه وصل إلى قناة بهمشير، ثُمَّ الحفار وجزيرة خرج[١٠٣].

وفي (١٦ نيسان ١٦٧٤) رجع إلى البصرة، وشاهد (٧٥٠) قارباً محمَّلاً

بالتمور من الموانئ الفارسيَّة [ربما لبيعها على أصحاب السفن التجاريّة الراسية في ميناء البصرة]، وبعدها بيومين وصلوا إلى مركز البصرة، وقام بزيارة رفيقه الهولنديّ في منزله ليشكره على صحبته، وبعدها توجَّه إلى دير الآباء الكراملة، وفي المساء دعاه السَّير (ريبلار) الفرنسيّ لتناول العشاء معه، ولمشاهدة الوكالة التّجاريَّة التي كان جزءاً منها مدمَّراً بسبب الأمطار والعواصف، وكان يعمل بشكل متواصل للبحث عن أسرع الطّرق للوصول إلى بغداد[١٠٤].

وذهب لمقابلة شاهبندر البصرة الذي استقبله بحفاوة بالغة لكونه صديقاً للفرنسيين، وبالهدايا التي قدَّمها له جعلته يفعل ما يريد، ومنها مساعدته على استئجار دانق يوصله إلى بغداد مع مجموعة من العثمانيّين توسّلوا له ليركبوا معه، وبعدها أنْ صلَّى في الكنيسة الكرمليَّة، وذهب لتوديع السَّير (ريبلار) الَّذي رافقة إلى بداية نهر العشَّار. وفي (٢٧ نيسان) قام بتحميل حاجاته، ثُمَّ غادر الزَّورق مركز البصرة[١٠٥].

ووصل في منتصف ليلة السبت (٢٨ نيسان) إلى القرنة، وفي قلعتها العثمانيَّة تَمَّ إيقاف الزَّورق للتفتيش مع الشاهبندر، وقد أرسل اثنين أو ثلاثة من أتباعه لهذا الغرض، وسألهم عن اسم المسؤول، فقال أحدهم: إنَّه (محمّد أغا)، وكان (كاريه) قد قابله قبل سنتين، فذهب إلى منزله، فعرفه وأمر بتسهيل سفره وأنْ يُغادر بسلام. وذهب للشاهبندر لأخذ الرُّخصة بالمغادرة، فأخذه إلى منزله ليعالج اثنين من زوجاته المريضات، فأعطاه بعض الأدوية وبعض الإرشادات الطِّبيَّة، وغادر القرنة صباحاً إلى نهر الفرات مجدَّداً، ونزل عند (الفتحيَّة)، وفيها بعض الإنكشاريَّة الذين يجمعون الضرائب[١٠٦].

وفي يوم الأربعاء (٢ مايس ١٦٧٤)، وصل إلى المنصوريَّة [منطقة تقع في ضواحي القرنة]، ولم يشاهد شيئاً سارَّاً في هذا المكان، فهو مهجور لوقوعه على طريق تسكنه الأُسود، والخنازير البرِّيَّة، والنمور، وغيرها من الحيوانات المتوحِّشة.

وصف (كاريه) شط العرب بأنّه واسع وعميق، وبضفافه الجميلة يكون أحد أجمل المناظر في العالم بدون مبالغة، وأنَّ عُرضه وعُمقه المتَّسقان يجعلانه صالحاً لملاحة أكبر السّفن في بلدان الشّرق، وهي محمَّلة بالكنوز والبضائع الغنيَّة من الهند. وفي يوم الخميس (٣ مايس) توقَّف عند قرية «الحمَّار»، وفيها مسؤول عثمانيّ لجباية الضَّرائب من كلّ القوارب المارَّة[١٠٧].

الخاتمة

١- تُعدُّ رحلة الأب (كاريه) إلى البصرة من الرِّحلات التي تميَّزت بمعلومات أكثر ممَّا جاءَتْ به رحلاتُ الرَّحَّالة الأجانب الآخرين عنها.

٢- كان وصفه لطبيعة البصرة وبيئتها الزّراعيَّة يدلُّ على ما شعر به من ارتياح لها حتَّى أنَّه وصفها بأنَّها «أجمل بقاع الشرق، وأكثرها سحراً، وأنَّ طبيعة شطّ العرب بضفافه الجميلة أحد أجمل المناظر في العالم بلا مبالغة»، إلّا أنّه وقع في أخطاء عن الطقس، وزراعة بعض المحاصيل، وتحديد بعض المواقع.

٣- كان (كاريه) شاهد عيان على الأوضاع الدَّمويَّة والمأساويَّة في البصرة سنة (١٦٦٩)، والمتمثِّلة بقيام العثمانيّين بإزاحة الوالي (يحيى باشا) من ولاية البصرة، فضلاً عن انتشار وباء قاتل فيها.

٤- برزت شخصيَّة (كاريه) التّجاريَّة والإداريَّة لتعزيز مركز الشَّركة الفرنسيّة في البصرة، ومعرفته في السّياسة العثمانيَّة آنذاك في الخليج العربيّ بشكل جيِّد، وقد تكون تلك المعرفة لملازمته لدير الآباء الكرمليّين الَّذين كانوا أحد مصادر المعلومات عن الأوضاع السِّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة في البصرة.

٥- لم تكن معلومات (كاريه) الدّينيّة الإسلاميّة دقيقةبصورة عامّة وعن تأريخ البصرة بصورة خاصّة، ولم يخف (كاريه) ميوله النَّصرانيّة في تعامله

مع الآباء الكرمليّين في البصرة. وقد وقع في عدَّة أخطاء في تفسير الممارسات والطّقوس الدِّينيَّة الإسلاميّة، ومنها طقوس الحجّ إلى بيت الله الحرام، فضلاً عن تعصُّبه للدِّين المسيحيّ، ووَصَفَ الآخرين (بالمرتدِّين)، ويقصد بهم المسلمين، ولم يتطرَّق أبداً إلى طائفة الصّابئة في المدينة.

٦- تميَّز أسلوبه في وصف بعض الأُمور بالمبالغة، ومنها ما يملكه الشاهبندر والتجَّار البصريِّين من كنوز وأموال هائلة، ومع ذلك فان ما دوَّنه يُعدُّ معلومات تاريخيّة مفيدة وجيِّدة عن أوضاع البصرة في سبعينيَّات القرن السَّابع عشر.

الهوامشُ

(١) بندر عبَّاس: قرية صغيرة كانت تُدعى (كمبرون) سابقاً، اختارها شاه عبّاس (١٥٨٧-١٦٢٩) لتكون ميناءا بحريَّاً جديداً. وقد تحوَّلت تجارة هرمز إليها، وكانت لمائة وخمسين عاماً مركزاً للنشاط التجاريّ والسياسيّ في الخليج العربيّ. يُنظر: عبد الأمير محمّد أمين، المصالح البريطانيَّة في الخليج العربيّ (١٧٤٧-١٧٧٨)، ترجمة: هاشم كاطع لازم: ص ١٧.

(٢) يستخدم الرَّحَّالة تعبير (نهر الفرات) للإشارة إلى شطِّ العرب، ومن المعلوم أنَّ تسمية هذا النَّهر ذُكرت أوّل مرّة في سنة (١٠٥١م). يُنظر: ناصر خسرو علوي، سفرنامة، ترجمة: يحيى الخشَّاب: ص ١٦٣.

(٣) كنج: ميناء لرسو السُّفن، وكانت مدينة مشهورة بصناعة السُّفن التّجاريّة، تقع على السَّاحل الشَّرقيّ للخليج، وسكّانه ذوو أُصول عربيّة قديمة، وكان أهم الموانئ الواقعة على الخليج، وقد أُقيمت فيها مؤسّسات برتغاليَّة لمدَّة قصيرة، وبعدها وكالات هولنديَّة وإنجليزية في القرن السَّابع عشر والثامن عشر. يُنظر: ب، ج، سلوت، عرب الخليج، ترجمة: عايد خوري: ص ٣٩-٤٠.

(٤) رحلة كاريه ص ٣٧.

(٥) الفرسخ: يساوي ٣ أميال، والميل العربي يساوي ١٩٧٣ متر. ينظر: هينتس، المكاييل والاوزان الإسلاميّة، ترجمة كامل العسلي، عمان د. ت، ص ٩٤.

(٦) رحلة كاريه: ص ٣٨.

(٧) رحلة كاريه: ص ٦٠.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) سليمان الثالث: اسمه صفي الثاني إبن عبّاس الثاني، ويلقَّب بسليمان الأوَّل الصَّفويّ، وهو شاه حكم بين عامي (١٦٦٦-١٦٩٤)، وقد سمَّاه كاريه بسليمان الثالث. يُنظر: محمّد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصَّفويَّة: ص٢٢٦-٢٢٧.

(١٠) رحلة كاريه: ص ٦١، للتفاصيل يُنظر هامش المترجم: كانت بلاد فارس تخوض حروبا عديدة مع جيرانها، ولم يكن بمقدور الشَّاه الفارسيّ مواجهة كلّ هؤلاء الأعداء دفعة واحدة؛ لذا لم يكن بوسعه القيام بشيء إزاء البصرة، أو ينهمك بحرب أُخرى مع العثمانيّين.

(١١) رحلة كاريه: ص ٦١.

(١٢) رحلة كاريه: ص ٦٢.

(١٣) أيكو: كلمة لاتينيّة أُطلقت على نقد قديم سُكَّ من الفضَّة. ينظر: عبّاس العزّاوي، تاريخ النقود العراقيّة: ص ١٤٦. والأيكو يساوي قرشاً واحداً، أو ثلاث ليرات. هامش المترجم: ص ٣٩.

(١٤) رحلة كاريه: ص ٦٢.

(١٥) المصدر نفسه: ص٦٢.

(١٦) رحلة كاريه: ص ٦٣.

(١٧) ويقصد بهم أعوان بيت باش أعيان. وكانت شخصيَّات بيت باش أعيان آنذاك من المعارضين لحكم حسين باشا.

(١٨) رحلة كاريه: ص ٦٣.

(١٩) هذا الكلام غير دقيق، وربّما تمَّ هدم البيوت التي كان فيها المعارضون والمقاتلون في مركز المدينة.

(٢٠) سورات: مدينة هنديَّة تقع غرب ولاية كوجارات في مقاطعة سورات، وكانت ميناء كبيراً في الماضي.

(٢١) رحلة كاريه: ص٦٣- ٦٤.

(٢٢) المصدر نفسه.

(٢٣) المصدر نفسه: ص ٦٤-٦٥.

(٢٤) المصدر نفسه: ص ٦٥.

(٢٥) المصدر نفسه.

(٢٦) رحلة كاريه: ص ٦٦.

(٢٧) القرنة: هي منطقة في شمال البصرة يلتقي فيها نهرا دجلة والفرات. قام علي باشا أفراسياب أمير البصرة (١٦٠٢-١٦٤٧) ببناء قلعة فيها، وسمَّى القرنة باسمه، أي: (العليّة)، وفي عهد ابنه حسين باشا أُحكم بناء هذه القلعة. وتُعدُّ القرنة خطّ الدِّفاع الأوَّل عن مدينة البصرة. يُنظر: حسين عليّ عبيد المصطفى، البصرة في مطلع العهد العثمانيّ (١٥٤٦-١٦٦٨): ص ٧١.

(٢٨) رحلة كاريه: ص ٦٦.

(٢٩) المصدر نفسه: ص ٦٨.

(٣٠) المصدر نفسه: ص ٣٩.

(٣١) المصدر نفسه: ص ٤٠.

(٣٢) المصدر نفسه: ص ٤١.

(٣٣) المصدر نفسه: ص ٤٣.

(٣٤) خزق: وهي عمليّة بشعة تعني إمساك الشّخص ووضعه على خشبة نهايتها رفيعة، فتدخل في أحشائه حتّى الموت.

(٣٥) رحلة كاريه: ص ٤٤.

(٣٦) المصدر نفسه: ص٤٤ -٤٥.

(٣٧) الحفار: قناة تربط نهر الكارون - الذي يمرُّ بالقبان، وشطّ العرب، وفيه أراض على الضّفة اليمنى لنهر الكارون، وفيه قلعة دفاعيَّة تقطع المواصلات النَّهرية في شطِّ العرب. يُنظر: سعدون جاسم محمّد الجزائريّ، تاريخ الدولة الأفراسيابيَّة: ص ٢٠٧.

(٣٨) المصدر نفسه: ص ٤٥-٤٦.

(٣٩) اورنجزيب (١٦٥٩-١٧٠٧) ابن السلطان شاه جيهان أحد أعظم سلاطين المغول المسلمين في الهند، وباني مقبرة تاج محلّ الشَّهيرة، وكان اورنجزيب قد نشأ محبّاً للشّعر، والخطّ. وتعلّم اللُّغة العربيَّة، والفارسيَّة، والتركيَّة. شهدت إمبراطوريّة المغول الإسلاميّة في عهده أقصى امتداد لها؛ إذ لم يبق إقليم من أقاليم الهند إلَّا وخضع لسيطرتها. واهتمَّ بالدّين الإسلاميّ والالتزام بشرائعه كثيراً. يُنظر: طقوش، المصدر السَّابق: ص(٢٢٣ -٢٢٢) رحلة كاريه، وقد سمَّاه اورنزيب: ص ٤٦.

(٤١) المصدر نفسه، يُنظر: ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة : جعفر الخياط: ص١٤٧.

(٤٢) المصدر نفسه: ص ٤٧.

(٤٣) المصدر نفسه: ص ٤٧-٤٨.

(٤٤) المصدر نفسه: ص ٤٨-٤٩.

(٤٥) رحلة كاريه: ص ٥١.

(٤٦) المصدر نفسه: ص ٥١-٥٢.

(٤٧) خرج: جزيرة ذات أهمِّيَّة كبيرة في الخليج العربيّ يقع حدُّها الجنوبيّ الشرقيّ في مكان يبعد عن مدينة بوشهر (٢٤) ميلاً باتِّجاه غرب الشَّمال الشَّرقيّ، وفيها مغاصات اللؤلؤ الرئيسة في الخليج. للمزيد من التفاصيل، يُنظر: مصطفى النَّجَّار وآخرون تاريخ الخليج العربيّ الحديث والمعاصر: ص ٤٣.

(٤٨) بندريق: جزيرة تقع في الجزء الشَّماليّ من الخليج، وهي ميناء مهمّ للتجارة والمواصلات في المنطقة. استوطنتها قبيلة بني صعب في القرن الثامن عشر، وهي إمارة عربيّة مع سكّان جزيرة خرج. المصدر نفسه: ص ٥٨.

(٤٩) رحلة كاريه: ص ٥٦.

(٥٠) المصدر نفسه: ص ٥٧.

(٥١) السّلحدار: لفظ فارسيّ يعني صانع الأسلحة، ويُطلق على المسؤول المكلَّف عن حمل آلات الحرب الخاصَّة بالسّلطان في أثناء القتال. للتفاصيل يُنظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التَّاريخيّة: ص ٢٥٦.

(٥٢) رحلة كاريه: ص ٥٨.

(٥٣) المدّ والجزر: ظاهرة طبيعيّة مائيّة في شطّ العرب، يرتفع الماء في النَّهر مرَّتين في اليوم، فيتمّ إرواء الأنهار الصَّغيرة المتفرِّعة منها.

(٥٤) رحلة كاريه: ص ٣٨.

(٥٥) كلام غير دقيق؛ لأنَّ في البصرة فصول السَّنة الأُخرى، منها فصل الشتاء البارد آنذاك، فضلاً عن الرَّبيع، والخريف القصيران والمعتدلان، إلا أنَّ فصل الصَّيف هو الأطول ما بين فصول السَّنة؛ إذ يمتدّ لحدود الستَّة أشهر.

(٥٦) كلام غير دقيق؛ لأنَّ النَّخيل والأعناب والحمضيّات لا تيبس في فصل الصَّيف، وإلّا كيف تحمل ثمارها في الصَّيف!.

(٥٧) هناك نخل غير عالٍ يستطيع حتَّى الأطفال قطف الرُّطب منه، وتكون الزِّراعة لأشجار النَّخيل على مسافة خمسة أمتار بين فسيلة وأُخرى، وبخطّ مستقيم، وعندما تكبر الفسيلة ليصل عمرها إلى ثلاث سنوات تبدأ بالإنتاج، وبعد سبع سنوات أو ثماني تسمَّى الفسيلة (نشوة).

(٥٨) الشاهبندر: هي وظيفة مدنيَّة وليست عسكريَّة، وربما قصد بذلك أتباع الشَّاه الفارسيّ ومناصريه. ووظيفة الشاهبندر معرفة السّفن التي تدخل إلى ميناء البصرة آنذاك، وهو ميناء(السَّرَّاجي)، وتخرج منه؛ لتقدير الضَّريبة على السّلع وحلّ المشاكل بين ربابنة السّفن، واستقبال الوفود التّجاريّة البحريّة. وليس من مهامّه جباية الضرائب من السّفن. يُنظر عن ميناء السَّرَّاجي، المصطفى، المصدر السابق: ص ٧٨.

(٥٩) لم يذكر كاريه نوع العملة، إلَّا أنَّ المترجم ذكر أنَّه يقصد بها عملة الايكو، التي تساوي ثلاث ليرات. رحلة كاريه، هامش ص٣٩.

(٦٠) لم يفصح عنها كاريه، وربما تكون أُموراً تجاريَّة لتسهيل مهمَّته بتأسيس فرع لشركة الهند الشَّرقية الفرنسيّة. المصدر نفسه: ص ٤٠.

(٦١) المصدر نفسه: ص ٤٠-٤١.

(٦٢) المصدر نفسه: ص ٤١-٤٢.

(٦٣) المصدر نفسه: ص ٤٢.

(٦٤) المصدر نفسه: ص ٤٢-٤٣.

(٦٥) المصدر نفسه: ص ٤٣.

(٦٦) المصدر نفسه: ص ٤٩. وهتان التَّسميتان من وضع الرَّحَّالة، وليس لهما أصل في المسمَّيات العربيّة، والمترجم سمَّاهما قيبان (قبان)، وجادر، وهما غير دقيقتين، إذ لا توجد هكذا أسماء لجزر في شطّ العرب.

(٦٧) رحلة كاريه: ص ٤٩.

(٦٨) المصدر نفسه: ص٥٠. هذا كلام غير صحيح، وشطّ العرب ليس فيه لؤلؤ، ولا يوجد في شطّ العرب جزيرة اسمها البحرين.

(٦٩) هامش للمترجم، مع أنّ كاريه أوضح لاحقاً (ص ٦٤٩ من المخطوط الأصليّ) أنَّها تعني مكاناً لجباية الضَّرائب، لكن يُفهم من سياق النَّص أنَّ المقصود بها الجسر. رحلة كاريه: ص ٥٠.

(٧٠) بغداد كتبها كاريه (بابل)، ولا علاقة للقرنة بحماية بغداد، ولا خطر على بغداد من جهة البصرة، بل العكس هو الصحيح، أيّ إنَّ القرنة هي خطّ الدّفاع الأول عن البصرة من الحملات العثمانية التي تأتي من شمالها. رحلة كاريه: ص٥٠.

(٧١) رحلة كاريه: ص ٥٨-٥٩.

(٧٢) هذا غير دقيق، لأنَّ الإمارة الأفراسيابيَّة حكمت ولاية البصرة اثنتين وسبعين سنة، وليس دقيقاً أنْ يبقى الشاهبندر خلال هذه المدّة الطويلة في منصبه ويجمع الملايين، يُنظر: حسين علي المصطفى، المصدر السابق.

(٧٣) كان السيِّد فروت يتكلَّم مع الشاهبندر وكأنَّه تاجر أجنبي، وليس عربياً من أهل البصرة لا يستطيع مغادرتها إلى مكان آخر سواء الضّفة الشَّرقيّة التي يسيطر عليها الفرس أم غيرها. يُنظر: رحلة كاريه: ص٥٩.

(٧٤) رحلة كاريه: ص ٥٩ - ٦٠.

(٧٥) المصدر نفسه: ص ٦٦-٦٧.

(٧٦) المصدر نفسه، ص ٦٧.

(٧٧) لماذا هذا العداء من العثمانيين للهنود مع أنَّ الهنود جالية تجاريَّة تنقل البضائع من آسيا والهند إلى البصرة؟! المصدر نفسه: ص ٦٧-٦٨.

(٧٨) المصدر نفسه: ص ٦٩.

(٧٩) وهل الدّين يأمر بالظّلم والاستبداد؟! المصدر نفسه: ص ٦٨،٧١،٧٥ .

(٨٠) رحلة كاريه، هامش ص٧٥ : لم يُدفن الرسول محمّدﷺ في مكَّة، وإنَّما دُفن في المدينة، وكانت وفاته في حزيران ٦٣٢م.

(٨١) موسم الحجّ يكون أيضاً موسماً تجاريّاً يبيع فيه الناس بضائعهم في المدينة ومكّة المكرَّمة.

(٨٢) رحلة كاريه: ص ٧٥-٧٦.

(٨٣) هامش المترجم: القربوس: حِنْو السَّرج، أي: قسمه المقوَّس المرتفع من أمام المقعد ومن مؤخَّره، وجمعه قرابيس، رحلة كاريه: ص ٧٦ .

(٨٤) رحلة كاريه: ص٧٦.

(٨٥) هي شرشف من الحرير الأسود المطرَّز يغطِّي الكعبة، ويتمّ تجديده كلّ سنة. من هامش المترجم. المصدر السابق.

(٨٦) رحلة كاريه: ص ٧٨.

(٨٧) هذا خطأ في التاريخ حسب ما ذكره المترجم في الهامش، والصحيح وقوعه في سنة

١٦٧٤. رحلة كاريه: ص ٧٩.

(٨٨) المصدر نفسه: ص ٧٩.

(٨٩) المصدر نفسه: ص ٨٠.

(٩٠) المصدر نفسه: ص ٨١.

(٩١) المصدر نفسه .

(٩٢) المصدر نفسه: ص ٨٢.

(٩٣) شمَّاس: رتبة في الكنيسة الأرثوذكسيَّة، وتعني خادم الكنيسة، وحافظ ما فيها. والشَّمَّاس يشترك مع الكاهن في جميع الصلوات والأعمال الكنسية الأُخرى.

(٩٤) هامش المترجم: الكانارين: سكَّان ساحل الكونكان الواقع بين داموت وغوا في الهند. رحلة كاريه: ص٨٣.

(٩٥) رحلة كاريه: ص٨٤ .

(٩٦) رحلة كاريه: ص ١٦٩، ٢١٩، ١٧٤ .

(٩٧) أصبحت القرنة في عهد الوالي عليّ باشا أفراسياب مركزاً قياديَّاً في عموم المنطقة، وهي خطّ الدِّفاع الأوَّل عن البصرة، ومركزها تجاه الجيوش العثمانيَّة الآتية من الشّمال. يُنظر: المصطفى، المصدر السابق: ص ٧٧ .

(٩٨) رحلة كارية: ص ٢٤٠-٢٤١.

(٩٩) المصدر نفسه: ص ٢٤١.

(١٠٠) المصدر نفسه: ص ٢٤٢.

(١٠١) المصدر نفسه: ص ٢٤٥.

(١٠٢) المصدر نفسه: ص ٢٤٨.

(١٠٣) المصدر نفسه: ص ٢٤٩.

(١٠٤) المصدر نفسه: ص ٢٥٣.

(١٠٥) المصدر نفسه: ص ٢٥٤.

(١٠٦) المصدر نفسه: ص ٢٥٩-٢٨٠.

(١٠٧) المصدر نفسه: ص ٢٦٤-٢٦٥.

المصادرُ والمراجعُ

١- أمين، عبد الأمير محمّد، المصالح البريطانيّة في الخليج العربي (١٧٤٧-١٧٧٨)، ترجمة: هاشم لازم كاطع، بغداد ١٩٧٧.

٢- تافرنييه، جان بابتيست، العراق في القرن التاسع عشر، ترجمة: بشير فرنسيس، كوركيس عوَّاد، بغداد ١٩٤٤.

٣- الجزائريّ، سعدون جاسم محمّد، تأريخ الدولة الأفراسيابية، ط٢، كربلاء المقدَّسة، ٢٠١٦.

٤- الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التَّاريخيّة، بيروت ١٩٩٦.

٥- سلوت، ب، ج، عرب الخليج، ترجمة: عايد خوري، أبو ظبي١٩٩٣.

٦- العزَّاوي، عبّاس، تاريخ النقود العراقيّة، بغداد ١٩٥٨.

٧- علوي، ناصر خسرو، سفرنامة ترجمة: يحيى الخشَّاب، ط٥، القاهرة ١٩٩٣.

٨- لونكريك، ستيفن همسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخيَّاط، بغداد، (د.ت).

٩- المصطفى، حسين علي عبيد، البصرة في مطلع العهد العثمانيّ (١٥٤٦- ١٦٦٨)، دمشق ٢٠١٢.

١٠- النَّجَّار، مصطفى، وآخرون، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، البصرة ١٩٨٤.

١١- هينتس، المكاييل والأوزان الإسلاميّة، ترجمة: كامل العسلي، عمان، (د.ت).